تفسير سورة الرعد

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾

[الرعد: ١-٥]

mostafa-adly.com

س: وضح معنى ما يلي:

﴿عَمَدٍ - ٱسْتَوَىٰ - وَسَخَّرَ - لِأَجَلٍ مُّسَمًّى - يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ - يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ - تُوقِنُونَ - مَدَّ ٱلْأَرْضَ - رَوَٰسِيَ - يُغْشِى - قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ - وَجَنَّٰتٌ - صِنْوَانٌ - وَغَيْرُ صِنْوَانٍ - ٱلْأُكُلِ - تَعْجَبْ - خَلْقٍ جَدِيدٍ - كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ - ٱلْأَغْلَٰلُ - أَعْنَاقِهِمْ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿عَمَدٍ﴾	أعمدة.
﴿ٱسْتَوَىٰ﴾	علا وارتفع.
﴿وَسَخَّرَ﴾	ذلَّل.
﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	لوقت معين مُحدد.
﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾	يرتب أمور الخلائق ويُدبرها.
﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾	يوضح الآيات ويبينها ويفصل بعضها عن بعض لتفهم.
﴿تُوقِنُونَ﴾	تصدقون تصديقًا تامًّا.
﴿مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾	بسط الأرض.
﴿رَوَٰسِيَ﴾	جبالًا راسية.
﴿يُغْشِى﴾	يغطي.
﴿قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾	قطع من الأرض مختلفة متنوعة يجاور بعضها بعضًا.
﴿وَجَنَّٰتٌ﴾	حدائق وبساتين.

MOSTAFAADEL.COM

﴿صِنۡوَانٌ﴾	نخلتان أصلهما واحد، تلتقيان في الجذع، والأصل، أو أكثر من نخلتين تشتركان في الأصل.
﴿وَغَيۡرُ صِنۡوَانٍ﴾	كل نخلة قائمة على انفراد.
﴿ٱلۡأُكُلِ﴾	الطُعوم.
﴿تَعۡجَبۡ﴾	تتعجب.
﴿خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾	بعث بعد الموت، حياة بعد الموت.
﴿كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾	جحدوا وحدانية ربهم وكفروا بنعمه.
﴿ٱلۡأَغۡلَٰلُ﴾	الأطواق.
﴿أَعۡنَاقِهِمۡ﴾	رقابهم

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADAWY.COM

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿الٓمٓرٰۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١﴾.

ج: أما قوله تعالى: ﴿الٓمٓرٰۚ﴾ فقد تقدم الكلام على الحروف المقطعة مرارًا، أما سائر الآية الكريمة ففي تأويله وجوه:

أحدها: تلك التي نقصصها عليك من الأخبار هي آيات موجودة بنحوها في الكتاب الذي أُنزل من قبلك، والمراد بالكتاب التوراة، وقيل الإنجيل، وقيل: الكتاب اسم جنس يشملهما.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: القرآن الذي أُنزل إليك من عند الله الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك ولا ارتياب، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون به ولا يصدقون أنه من عند الله.

الثاني: تلك التي نقصها عليك من القصص والأخبار والمواعظ وغيرها آيات القرآن، وهذه الأخبار وهذا القرآن الذي تضمنها هو الحق من عند الله، ولكن أكثر الناس لا يصدقون.

الثالث: ﴿الٓمٓرٰۚ﴾ وهي أحرف مقطعة تقرؤونها وتكتبونها هي التي أُلفت منها آيات الكتاب الذي أنزل عليك والذي هو الحق، ومع كون الناس يعرفونها يقرؤونها ويكتبونها إلا أنهم لا يستطيعوا أن يأتوا منها بآية ولا بسورة، ومع ذلك فإنهم لا يصدقون بأنها من عند الله، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (تلك آيات الكتاب) يقول تعالى ذكره: تلك التي قصصت عليك خبرَها، آيات الكتاب الذي أنزلته قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك إلى من أنزلته إليه من رسلي قبلك.

MOSTAFAADEL.COM

وقيل: عنى بذلك: التوراة والإنجيل.

وقوله: (والذي أنزل إليك من ربك الحق) [القرآن] ، (١) فاعمل بما فيه واعتصم به.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولو قيل: معنى ذلك: تلك آيات الكتاب الذي أنزل إليك من ربك الحق = وإنما أدخلت الواو في ﴿والذي﴾، وهو نعت للكتاب، كما أدخلها الشاعر في قوله:

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وَابْنِ الهُمَامِ وَلَيْثَ الكَتِيبَةِ فِي المُزْدَحَمْ

فعطف بـ«الواو»، وذلك كله من صفة واحد=، كان مذهبًا من التأويل.

ولكن ذلك إذا تُؤُوِّل كذلك فالصواب من القراءة في (الحق) الخفض، على أنه نعت لـ (الذي) .

وقوله: (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) ولكن أكثر الناس من مشركي قومك لا يصدقون بالحقّ الذي أنزل إليك من ربك، (١) ولا يقرّون بهذا القرآن وما فيه من محكم آيه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: {ولكن أكثر الناس لا يؤمنون} كقوله: {وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين} [يوسف: ١٠٣] أي: مع هذا البيان والجلاء والوضوح، لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاق والعناد والنفاق.

❁ ❁ ❁

أكثر الناس ليسوا بمؤمنين

س: اذكر ما يدل على أن أكثر الناس بعيدين عن الإيمان والطاعة؟

MOSTAFALABIB.COM

ج: من ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿﴾ [].

* وقوله تعالى: ﴿﴾ [].

* وقوله تعالى: ﴿﴾ [].

* وقوله تعالى: ﴿﴾ [].

* وقوله تعالى: ﴿﴾ [].

* وقوله تعالى: ﴿﴾ [].

إلى غير ذلك.

❁ ❁ ❁

شيءٌ من البيان عن عظمة الله ﷻ وقدرته

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: الله الإله الحق هو الذي رفع لا سموات بغير أعمدة نراها ثم علا على العرش وسخر الشمس والقمر وذلك أنهما يجريان بحساب كما قال تعالى: ﴿﴾ وكما قال تعالى: ﴿﴾ ﴿﴾.

فالشمس والقمر، والقمران مسخران يجريان لوقت حدده الله وعنده يتوقفان لا يجريان، بل تكور الشمس كما قال تعالى: ﴿﴾ يضم بعضها إلى بعض ويلف بعضها على بعض كما قال رسول الله ﷺ: «**الشمس والقمر مكوران يوم القيامة**»[1].

(١) البخاري (٣٢٠٠).

MostafaBadawy.com

أما قوله تعالى: ﴿﴾ أي: أمر السموات والارض وما بينهما من المخلوقات، وامر بني آدم من ثمَّ فيرفع هذا ويخفض ذاك، ويغني هذا ويبتلي ذاك ويصحح ويعافي ويسقم ويمرض ويعزُّ ويُذل ويُكرم ويُهين، ويُحيي ويُميت إلى غير ذلك من صور التدبير فيفعل ما يريد ويقضي في السموات والأرض وما بينهما بما يشاء.

﴿﴾ يوضحها ويبينها لعلكم توقنون بلقاء الله يوم القيامة، وتعلمون أنه قادر على بعثكم بعد موتكم وتوقنوا بذلك وتتأكدوا منه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله، يا محمد، هو الذي رفع السموات السبع بغير عَمَد ترونها، فجعلها للأرض سقْفًا مسموكًا.

و"العَمَد" جمع "عمود"، وهي السَّواري، وما يعمد به البناء، كما قال النابغة:

وَخَيِّسِ الجِنَّ إنِّي قَدْ أذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالعَمَدِ

وجمع "العمود:""عَمَد،"كما جمع الأديم:"أدَم"، ولو جمع بالضم فقيل:"عُمُد"جاز، كما يجمع"الرسول""رسل"، و"الشَّكور""شكر".

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (رفع السموات بغير عمد ترونها).

فقال بعضهم: تأويل ذلك: الله الذي رفع السموات بعَمَدٍ لا ترونها.

وقال آخرون، بل هي مرفوعة بغير عمد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى: (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) فهي مرفوعة بغير عمد نَراها، كما قال ربنا جل

MOSTAFALADY.COM

ثناؤه. ولا خبر بغير ذلك، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه.

وأما قوله: (ثم استوى على العرش) فإنه يعني: علا عليه.

وقد بينا معنى الاستواء واختلاف المختلفين فيه، والصحيح من القول فيما قالوا فيه، بشواهده فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. (٤)

وقوله: (وسخر الشمس والقمر) يقول: وأجرى الشمس والقمر في السماء، فسخرهما فيها لمصالح خلقه، وذلَّلَهما لمنافعهم، ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب، ويفصلوا به بين الليل والنهار.

وقوله: (كل يجري لأجل مسمًّى) يقول جل ثناؤه: كل ذلك يجري في السماء= (لأجل مسمى) : أي: لوقت معلوم، (١) وذلك إلى فناء الدنيا وقيام القيامة التي عندها تكوَّر الشمس، ويُخْسف القمر، وتنكدر النجوم.

=وحذف ذلك من الكلام، لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه، وأن (كلّ) " لا بدَّ لها من إضافة إلى ما تحيط به. (٢)

وبنحو الذي قلنا في قوله: (لأجل مسمى) قال أهل التأويل.

وقوله: (يدبِّر الأمر) يقول تعالى ذكره: يقضي الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها أمورَ الدنيا والآخرة كلها، ويدبِّر ذلك كله وحده، بغير شريك ولا ظهير ولا معين سُبْحانه. (٤)

وقوله: (يفصل الآيات) يقول: يفصل لكم ربُّكم آيات كتابه، فيبينها لكم (١) احتجاجًا بها عليكم، أيها الناس = (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) يقول: لتوقنوا بلقاء الله، والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده، (٢) وتنزجروا عن عبادة الآلهة والأوثان، وتخلصوا له العبادة إذا أيقنتم ذلك. (٣)

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

MostafaAdly.com

وقوله {يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ} هذا جمع بين الخلق والأمر، أي: قد استوى الله العظيم على سرير الملك، يدبر الأمور في العالم العلوي والسفلي، فيخلق ويرزق، ويغني ويفقر، ويرفع أقواما ويضع آخرين، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، ويقيل العثرات، ويفرج الكربات، وينفذ الأقدار في أوقاتها التي سبق بها علمه، وجرى بها قلمه، ويرسل ملائكته الكرام لتدبير ما جعلهم على تدبيره.

وينزل الكتب الإلهية على رسله ويبين ما يحتاج إليه العباد من الشرائع والأوامر والنواهي، ويفصلها غاية التفصيل ببيانها وإيضاحها وتمييزها، {لَعَلَّكُمْ} بسبب ما أخرج لكم من الآيات الأفقية والآيات القرآنية، {بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} فإن كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها، من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصا في العقائد الكبار، كالبعث والنشور والإخراج من القبور.

وأيضا فقد علم أن الله تعالى حكيم لا يخلق الخلق سدى، ولا يتركهم عبثا، فكما أنه أرسل رسله وأنزل كتبه لأمر العباد ونهيهم، فلا بد أن ينقلهم إلى دار يحل فيها جزاؤه، فيجازي المحسنين بأحسن الجزاء، ويجازي المسيئين بإساءتهم.

❁ ❁ ❁

هل السموات مرفوعة بأعمدة؟

س: هل السموات مرفوعة بغير عمدٍ أم بعمدٍ ولكننا لا نراها؟

ج: في ذلك وجهان لأهل العلم فمنهم من قال: بعمدٍ لا تُرى، ومنهم من قال بغير عمدٍ من الأصل، والظاهر – والله أعلم– أننا نلزم قول الله تعالى: ﴿﴾

وما وراء ذلك يعلمه الله.

❁ ❁ ❁

مزيدٌ من الدلالات على قدرة الله ووحدانيته وعظمته

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: والله هو الذي بسط الأرض طولًا وعرضًا وجعل فيها جبالًا رواسي كي لا تميد الأرض بنا ولا تتحرك، وكذلك فإنه ﷻ شقَّ فيها أنهارًا تجري بالمياه، ومن كل اثمرات جعل في الارض صنفين ذكرًا وأُنثى، يجعل الليل يغطي النهار بظلامه، وجيعل النهار يغطي الليل بضيائه إن في ذلك لدلالات على وحادنية الله ﷻ وقدرته لقوم يتفكرون في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسهم ويتفكرون فيما يقربهم من الله.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والله الذي مَدَّ الأرض، فبسطها طولا وعرضًا.

وقوله: (وجعل فيها رواسي) يقول جل ثناؤه: وجعل في الأرض جبالا ثابتة.

و"الرواسي": "جمع "راسية"، وهي الثابتة، يقال منه: "أرسيت الوتد في الأرض": إذا أثبته، (١) كما قال الشاعر: (٢)

بِـهِ خَالِـدَاتٌ مَـا يَـرِمْنَ وهَامِـدٌ وَأَشْـعَثُ أَرْسَـتْهُ الوَلِيـدَةُ بِـالفِهْرِ (٣)

يعني: أثبتته.

وقوله: (وأنهارًا) يقول: وجعل في الأرض أنهارًا من ماء.

وقوله: (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين فـ (من) في قوله (ومن

كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) من صلة (جعل) الثاني لا الأول.

ومعنى الكلام: وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات. وعنى بـ (زوجين اثنين) : من كل ذكر اثنان، ومن كل أنثى اثنان، فذلك أربعة، من الذكور اثنان، ومن الإناث اثنتان في قول بعضهم.

وقد بينا فيما مضى أن العرب تسمي الاثنين: (زوجين) ، والواحد من الذكور "زوجًا" لأنثاه، وكذلك الأنثى الواحدة"زوجًا" و"زوجة" لذكرها، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. (١)

ويزيد ذلك إيضاحًا قول الله عز وجل: (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى) [سورة النجم: ٤٥] فسمى الاثنين الذكر والأنثى (زوجين) .

وإنما عنى بقوله: (زوجين اثنين) ، (٢) نوعين وضربين.

وقوله: (يغشى الليل النهار) ، يقول: يجلِّل الليلُ النهارَ فيلبسه ظلمته، والنهارُ الليلَ بضيائه.

وقوله: (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ، يقول تعالى ذكره: إن فيما وصفت وذكرت من عجائب خلق الله وعظيم قدرته التي خلق بها هذه الأشياء، لَدلالات وحججًا وعظات، لقوم يتفكرون فيها، فيستدلون ويعتبرون بها، فيعلمون أن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا لمن خلقها ودبَّرها دون غيره من الآلهة والأصنام التي لا تقدر على ضر ولا نفع ولا لشيء غيرها، إلا لمن أنشأ ذلك فأحدثه من غير شيء تبارك وتعالى= وأن القدرة التي أبدع بها ذلك، هي القدرة التي لا يتعذَّر عليه إحياء من هلك من خلقه، وإعادة ما فني منه وابتداع ما شاء ابتداعَه = بها. (١)

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما ذكر تعالى العالم العلوي، شرع في ذكر قدرته وحكمته وإحكامه للعالم السفلي، فقال: {وهو الذي مد الأرض} أي: جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض، وأرساها بجبال راسيات شامخات، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون لسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح، من كل زوجين اثنين، أي: من كل شكل صنفان.

{يغشي الليل النهار} أي: جعل كلا منهما (١) يطلب الآخر طلبا حثيثا، فإذا ذهب هذا غشيه هذا، وإذا انقضى هذا جاء الآخر، فيتصرف أيضا في الزمان كما تصرف في المكان والسكان.

{إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} أي: في آلاء الله وحكمته (٢) ودلائله.

❁ ❁ ❁

س: وضح منى قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وفي الأرض قطع متدجاورات، قطع من الأرض يختلف بعضها عن بعض، فهذه أرض طيبة صالحة للزراعة حسنة الإنبات، وهذه أرض سبخة، وذات مُلوحة لا تنبت كلأً، وثمَّ أرض رملية لا تُمسك ماءًا ولا تنبت كلأً، وهذه صخور وأحجار، ثم هذه جبالات جُدد بيض وحمرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود إلى غير ذلك من صور الاختلاف في الأرض، كل ذلك دال على قدرة الله ﷻ ووحدانيته وفي الأرض كذلك حدائق وبساتين

MOSTAFALABIB.COM

من أعنابٍ وكذا الزروع بجميع أصنافها، والنخيل الذي منه صنوان، أي: نخلتان أو أكثر مشتركتان في الأصل وغير صنوان كل نخلة قائمة بذاتها، وكل ذلك يُسقى بماءٍ واحدٍ، ولكن الطعوم مختلفة فهذا حُلو مستساغ، وهذا مرٌّ حامضٌ ولا مستساغ هذا جميل ولذيذ ونافع ومفيد، وهذا دون ذلك إن في ذلك لدلالات على وحدانية الله ﷻ وقدرته ولكنها دلالات وآيات لقوم يعقلون ويفهمون، أما الذين لا يتدبرون ولا يتفكرون فهؤلاء لا يستفيدون شيئًا من هذه الآيات، ولا من تلك الدلالات إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلًا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره (وفي الأرض قطع متجاورات) ، وفي الأرض قطع منها متقاربات متدانيات، يقرب بعضها من بعض بالجوار، وتختلف بالتفاضل مع تجاورها وقرب بعضها من بعض، فمنها قِطْعَةٌ سَبَخَةٌ لا تنبت شيئًا في جوار قطعة طيبة تنبت وتنفع.

وقوله: (وجنات من أعناب وزرع ونخيل صِنْوان وغير صنوان يسقى بماء واحدٍ ونفضّل بعضها على بعض في الأُكُل) يقول تعالى ذكره: وفي الأرض مع القطع المختلفات المعاني منها، بالملوحة والعذوبة، والخبث والطيب، (٢) مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض، بساتين من أعناب وزرع ونخيلٍ أيضًا، متقاربةٌ في الخلقة مختلفة في الطعوم والألوان، مع اجتماع جميعها على شرب واحد. فمن طيّبٍ طعمُه منها حسنٍ منظره طيبةٍ رائحته، ومن حامضٍ طعمه ولا رائحة له.

وأما قوله: (ونخيل صنوان وغير صنوان) .

ALSAFABOOKS.COM

فإن"الصنوان:"جمع"صنو"، وهي النخلات يجمعهن أصل واحد.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن البراء قال: (صنوان) المجتمع، (وغير صنوان) : المتفرِّق.

وفي رواية عن البراء بسندٍ صحيح أيضًا:"الصنوان": النخلتان أصلهما واحد، (وغير صنوان) النخلة والنخلتان المتفرّقتان.

وأورد الطبري بسندٍ فيه مقال يسير عن الحسن قال: هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم. كانت الأرض في يد الرحمن طينةً واحدة، فسطحها وبَطَحها، فصارت الأرض قطعًا متجاورة، فينزل عليها الماء من السماء، فتخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها. وتخرج نباتها وتحيي مواتها، وتخرج هذه سبَخَها وملحها وخَبَثَها، وكلتاهما تسقى بماء واحد.

فلو كان الماء مالحا، قيل: إنما استسبخت هذه من قبل الماء! كذلك الناس خلقوا من آدم، فتنزل عليهم من السماء تذكرة، فترقّ قلوب فتخشع وتخضع، وتقسو قلوب فتلهو وتسهو وتجفو.

قال الحسن: والله من جالس القرآن أحدٌ إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله: (وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا) [سورة الإسراء:٨٢] .

وأورد قراءتين في يُسقى، وتُسقى (بالياء والتاء وقال في معنى قوله: ﴿يسقى بماء واحد﴾ أي: جميع ذلك يسقى بماءٍ واحدٍ عذبٍ دون المالح.

وقال في قوله: ﴿﴾ بعد أن أورد قراءتين في قوله: ﴿﴾، وهي نُفضِّل ويُفضَّل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

MOSTAFABAKRY.COM

ومعنى الكلام: إن الجنات من الأعناب والزرع والنخيل الصنوان وغير الصنوان، تسقى بماء واحد عذب لا ملح، ويخالف الله بين طعوم ذلك، فيفضّل بعضها على بعض في الطعم، فهذا حلو وهذا حامضٌ.

وقوله: (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) يقول تعالى ذكره: إن في مخالفة الله عز وجل بين هذا القطع [من] الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها على ما وصفنا وبيّنّا، (٢) لدليلا واضحًا وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك، أن الذي خالف بينه على هذا النحو الذي خالف بينه، هو المخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال وتوفيق وخذلان، فوفّق هذا وخذل هذا، وهدى ذا وأضل ذا، ولو شاء لسوَّى بين جميعهم، كما لو شاء سوَّى بين جميع أكل ثمار الجنة التي تشرب شربًا واحدًا، وتسقى سقيًا [واحدًا]، (١) وهي متفاضلة في الأكل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: {وفي الأرض قطع متجاورات} أي: أراض تجاور بعضها بعضا، مع أن هذه طيبة تنبت ما ينتفع به الناس، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئا. هكذا روي عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، وغيرهم.

وكذا يدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض، فهذه تربة حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه سوداء، وهذه محجرة وهذه سهلة، وهذه مرملة، وهذه سميكة، وهذه رقيقة، والكل متجاورات. فهذه بصفتها، وهذه بصفتها الأخرى، فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وقوله: {وجنات من أعناب وزرع ونخيل} (٥) يحتمل (٦) أن تكون

MOSTAFALABIB.COM

عاطفة على {جنات} فيكون {وزرع ونخيل} (٧) مرفوعين. ويحتمل أن يكون معطوفا على أعناب، فيكون مجرورا؛ ولهذا قرأ بكل منهما طائفة من الأئمة.

وقوله: {صنوان وغير صنوان} الصنوان: هي الأصول المجتمعة في منبت واحد، كالرمان والتين وبعض النخيل، ونحو ذلك. وغير الصنوان: ما كان على أصل واحد، كسائر الأشجار، ومنه سمي عم الرجل صنو أبيه، كما جاء في الحديث الصحيح: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعُمَرَ: «**أَمَّا شَعَرْتَ (٨) أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ؟**»(١).

ثم قال بعد أن أورد حديثًا ضعيفًا لا يثبت عن رسول الله ﷺ:

أي: هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزروع، في أشكالها وألوانها، وطعومها وروائحها، وأوراقها وأزهارها.

فهذا في غاية الحلاوة وذا في غاية الحموضة، وذا في غاية المرارة وذا عفص، وهذا عذب وهذا جمع هذا وهذا، ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى. وهذا أصفر وهذا أحمر، وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق. وكذلك الزهورات مع أن كلها يستمد من طبيعة واحدة، وهو الماء، مع هذا الاختلاف الكبير الذي لا ينحصر ولا ينضبط، ففي ذلك آيات لمن كان واعيا، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار، الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد؛ ولهذا قال تعالى: {إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون}.

❁ ❁ ❁

(١) مسلم (٩٨٣).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: وإن تعجب يا رسول الله من هؤلاء الذين يعبدون الأصنام والأوثان ويسجدون للأشجار والأحجار، فثمَّ أمر آخر عجبٌ يدعو إلى التعجب من عقولهم الفاسدة وأفهامهم القاصرة، ألا وهو قولهم: أئذا كنا ترابًا بعد مماتنا، وتفرقت أجسادنا وأصبحنا رميمًا أنُبعث خلقًا جديدًا ونحاسب ونثاب أو نعاقب؟!!

فأولئك يا رسول الله هم الذين جحدوا خالقهم وأنكروا وحدانيته وأنكروا قدرته على البعث وهو رب الخالق القادر المحيي المميت المعز المذل الذي له صفات الكمال.

وأولئك تجعل في أعناقهم، في رقابهم الأغلال، وقيل: تضم الأيدي إلى الرقاب وتوضع من الرقاب في طوقٍ واحد يحيط بالرقاب، فترتفع أعينهم ووجوههم إلى أعلى ثم سلاسل في هذه الأطواق يسحبون بها إلى النار والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿﴾، وقال تعالى: ﴿﴾.

وهؤلاء المشركون الجاحدون المنكرون للبعث هم أصحاب النار الذين يمكثون فيها أبد الآبدين فيخلدون فيها، ولا يخرجون منها، ولا يموتون فيها ولا يحيون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (وإن تعجب) يا محمد، من هؤلاء المشركين

Nosrahabbir.com

المتَّخذين ما لا يضرُّ ولا ينفع آلهةً يعبدونها من دوني= فعجب قولهم (أئذا كنا ترابا) وبَلِينا فعُدِمنا= (أئنا لفي خلق جديد) إنا لمجدَّدٌ إنشاؤنا وإعادتنا خلقًا جديدًا كما كنا قبل وفاتنا!! = تكذيبًا منهم بقدرة الله، وجحودًا للثواب والعقاب والبعث بعد الممات .

عن قتادة، قوله: (وإن تعجب فعجب) إن عجبت يا محمد، = (فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد)، عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت.

ابن زيد في قوله: (وإن تعجب فعجب قولهم) قال: إن تعجب من تكذيبهم، وهم قد رأوا من قدرة الله وأمره وما ضرب لهم من الأمثال، فأراهم من حياة الموتى في الأرض الميتة، إن تعجب من هذه فتعجَّب من قولهم: (أئذا كنا ترابًا أئنا لفي خلق جديد)، أو لا يرون أنا خلقناهم من نطفة؟ فالخلق من نطفة أشدُّ أم الخلق من تراب وعظام؟ (١) .

قال الطبري:

واختَلَف في وَجْه تكرير الاستفهام في قوله: (أئنا لفي خلق جديد)، بعد الاستفهام الأول في قوله: (أئذا كنا ترابا)، أهلُ العربية. (٢)

فقال بعض نحويي البصرة: الأوّل ظرف، والآخر هو الذي وقع عليه الاستفهام، كما تقول: أيوم الجمعة زيدٌ منطلق؟ قال: ومن أوقع استفهامًا آخر على قوله: (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا)، (٣) جعله ظرفًا لشيء مذكور قبله، كأنهم قيل

لهم:"تبعثون"، فقالوا: (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا) ؟ ثم جعل هذا استفهامًا آخر. قال: وهذا بعيدٌ. قال: وإن شئت لم تجعل في قولك: (أئذا) استفهامًا، وجعلت الاستفهام في اللفظ على (أئنا) ، كأنك قلت: أيوم الجمعة أعبد الله منطلق؟ وأضمرت نفيه. (٤) فهذا موضعُ ما ابتدأت فيه بـ(أئذا) ، (٥) وليس بكثير في الكلام لو قلت:"اليوم إنّ عبد الله منطلق"، (٦) لم يحسن، وهو جائز، وقد قالت العرب:"ما علمت إنَّه لصالح، تريد: إنه لصالح ما علمت.

...ثم قال:

وقوله: (أولئك الذين كفروا بربهم) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين أنكروا البعث وجَحدُوا الثواب والعقاب، وقالوا: (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) هم الذين جحدوا قدرة ربِّهم وكذبوا رسوله، وهم الذين في أعناقهم الأغلال يوم القيامة في نار جهنم، (١) فأولئك (أصحاب النار) ، يقول: هم سكان النار يوم القيامة= (هم فيها خالدون) يقول: هم فيها ماكثون أبدًا، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه: {وإن تعجب} من تكذيب هؤلاء المشركين بأمر المعاد مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلالاته في خلقه على أنه القادر على ما يشاء، ومع ما يعترفون (٥) به من أنه ابتدأ خلق الأشياء، فكونها بعد أن لم تكن شيئا مذكورا، ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في أنه سيعيد العالمين خلقا جديدا، وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به، فالعجب من قولهم: {أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد} وقد علم كل عالم وعاقل أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس،

MOSTAFAABW.COM

وأن من بدأ الخلق فالإعادة سهلة عليه، كما قال تعالى: {أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير}

ثم نعت المكذبين بهذا فقال: {أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم} أي: يسحبون بها في النار، {وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} أي: ماكثون فيها أبدا، لا يحولون عنها ولا يزولون.

❁❁❁

MOSTAFAALSAWY.COM

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ٦-١٥].

mostafabdw.com

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ - خَلَتْ - ٱلْمَثُلَاتُ - ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ - مُنذِرٌ - هَادٍ - تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ - وَمَا تَزْدَادُ - بِمِقْدَارٍ - عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ - ٱلْمُتَعَالِ - سَوَآءٌ مِّنكُم - أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ - مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ - وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ - مُعَقِّبَٰتٌ - مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ - وَمِنْ خَلْفِهِۦ - يَحْفَظُونَهُۥ - مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ - فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ - وَالٍ - ٱلْبَرْقَ - وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ - ٱلصَّوَٰعِقَ - يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ - شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ - دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ - كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ - لِيَبْلُغَ فَاهُ - فِى ضَلَٰلٍ - طَوْعًا - وَكَرْهًا - وَظِلَٰلُهُم - بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾	يطلبون منك تعجيل العقوبة، والنقمة عليهم ولا يطلبون عفو الله وعافية (على سبيل التحدي والتكذيب والتعنت).
﴿خَلَتْ﴾	مضت - تقدمت - ظهرت.
﴿ٱلْمَثُلَاتُ﴾	العقوبات المنكلات الرادعات التي حلّت بالأمم المكذبة المتقدمة.
﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾	معجزة من عند الله.
﴿مُنذِرٌ﴾	مخوِّف - مُحذِّر.
﴿هَادٍ﴾	من يهديهم ويرشدهم - مرشد - قائد.
﴿تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾	تنقص (عن تسعة أشهر)- تلقى دمًا تُسقط الجنين.
﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾	تزيد في حملها على تسعة أشهر.

Mostafabdw.com

﴿بِمِقْدَارٍ﴾	بقدرٍ معين.
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾	عالم الذي يغيب عن الأنظار والذي يظهر لها .
﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾	المتعال على خلقه – المستعلي على كل شيء بقدرته.
﴿سَوَآءٌ مِّنكُم﴾	يستوي منكم.
﴿أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾	أخفى القول.
﴿مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾	مختفي بالليل (يعمل أعمالًا لا يريد أن يطلع عليها أحد).
﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾	ظاهر وماشي ويعمل أعمالًا لا يراها الناس، وقيل: داخل في سرب.
﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾	ملائكة يتعاقبون يأتي ملك بعد ملك، وملائكة بعد ملائكة، وقيل: حرس تتعاقبون الحراسة.
﴿مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾	من أمامه.
﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾	من ورائه.
﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾	يحفظونه بأمر الله – يحفظونه وحفظهم له بإذن من الله – يحفظونه من كل شيء لم يقدره الله.
﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾	فلا مانع له ولا حاجز ولا دافع.
﴿ٱلْبَرْقَ﴾	الضوء الشديد الساطع الذي يصاحب الأمطار، وقيل الأمطار

MOSTAFALABWAB.COM

﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ﴾	يبتدأ إنشاء السحب المحملة بالمياه الغزيرة.
﴿ٱلصَّوَٰعِقَ﴾	جمع صاعقة وهو المصاحبة للأمطار.
﴿يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾	يشككون في قدرة الله وفي وحدانيته.
﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾	شديد القوة – شديد الأخذ.
﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾	الدعوة الحق، دعوة التوحيد لا إله إلا الله.
﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ﴾	كماد يديه إلى الماء.
﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾	ليصل إلى فمه.
﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾	في ضياع وبطلان.
﴿طَوْعًا﴾	عن طواعية.
﴿وَكَرْهًا﴾	مُكرهين.
﴿وَظِلَٰلُهُم﴾	جمع ظل (ظلال الأشياء).
﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾	صباحًا (في البكور) وبعد العصر إلى غروب الشمس.

MOSTAFALABIB.COM

❁ ❁ ❁

من جهل أهل الكفر
أنهم يستعجلون العاب ويطلبون العقاب قبل الحرمة والعافية

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: ويستعجلك أهل الكفر فيطلبون إنزال العذاب عليهم وإحلاله بهم بدلًا من أن يسألوا الله العافية والسلامة وحسن العاقبة، وهذا متكررٌ منهم.

قال تعالى: ﴿﴾ فلو قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه لكان خيرًا لهم وأولى لهم.

وأيضًا من ذلك قولهم: ﴿﴾ أي: نصيبنا من العذاب قبل يوم القيامة، وقد قال تعالى: ﴿﴾.

فهذا شأن أهل الكفر، بجهلهم بدلًا من أن يسألوا ربهم المغفرة والسلامة والعافية يسألونه العذاب والعقاب والبلاء، مع أنهم قد رأوا ما حلَّ بأهل الظلم من أمثالهم، وقد تقدمتهم العقوبات التي حلَّت بالأمم المكذبة تلك العقوبات المُنكلِّة التي تدعوا إلى الاعتبار والاتعاظ، فقد كانوا يمرون بمساكن قوم لوط، وقد قال تعالى: ﴿﴾، وقال: ﴿﴾ أي: بطريق ظاره قائم لا يزال المارة يرونها ويشاهدونها وقال تعالى في شأن أصحاب الأيكة قوم شعيب بعد أن ذكر قوم لوط ﴿﴾ بطريق واضح يستبين به المارةُ أمر هؤلاء المكذبين وما حلَّ بهم من العقاب والنكال، ومع هذا الذي يصدر من الكفار فأيضًا تفتح لهم أبواب التوبة في دنياهم، وتفتح أبواب التوبة لكل مذنب فربنا ﷻ أهلٌ للمغفرة فيغفر للمستغفرين ويتوب على التائبين فمن تابم ن شركه قبل موته، أي: قبل

MostafaLabw.com

حضور موته فإن الله يتوب عليه.

وكذا فإنه سبحانه في الدنيا يتفضل على الخلق بنعمه، ومنهم القائم على معصيته، فهو ذو مغفرة وذو فضل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

وكذا فإنه ﷻ شديد العقاب لمن تمرد وتجبر وكفر وعصى، وهذا تذكيرٌ بعذاب الله وشدته كي يحذره الحذرون. ويتيقن المتقون، ويقلع عن الشرك المجرمون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: (ويستعجلونك) يا محمد، (١) مشركو قومك بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية، فيقولون: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [سورة الأنفال: ٣٢] وهم يعلمون ما حَلَّ بمن خلا قبلهم من الأمم التي عصت ربها وكذبت رسلها من عقوبات الله وعظيم بلائه، (٢) فمن بين أمة مسخت قردة وأخرى خنازير، ومن بين أمّة أهلكت بالرَّجْفة، وأخرى بالخسف، وذلك هو (المثلات) التي قال الله جل ثناؤه. (وقد خلت من قبلهم المثلات) .

و (المثلات) ، العقوبات المنكِّلات، والواحدة منها:"مَثُلة" بفتح الميم وضم الثاء، ثم تجمع "مَثُلات"، كما واحدة"الصَّدُقَات""صَدُقَة"، ثم تجمع"صَدُقَات". (٣) وذكر أن تميمًا من بين العرب تضم الميم والثاء جميعًا من"المُثُلات"، فالواحدة على لغتهم منها:"مُثْلة"، ثم تجمع "مُثُلات"، مثل"غُرْفة"وغُرُفات، والفعل منه:"مَثَلْت به أمْثُلُ مَثْلا" بفتح الميم وتسكين الثاء، فإذا أردت أنك أقصصته من غيره، قلت:"أمثلته من صاحبه أُمْثِلُه إمْثالا

وذلك إذا أقصصته منه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (وقد خلت من قبلهم المثلات) ، وقائع الله في الأمم فيمن خلا قبلكم= وقوله: (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) ، وهم مشركو العرب استعجلوا بالشرّ قبل الخير، وقالوا: (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ، [سورة الأنفال:٣٢] .

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: (وقد خلت من قبلهم المثلات) قال: (المثلات) ، الذي مَثَّل الله به الأممَ من العذاب الذي عذَّبهم، (١) تولَّت المثلات من العذاب، قد خلت من قبلهم، وعرفوا ذلك، وانتهى إليهم ما مَثَّلَ الله بهم حين عصَوه وعَصوا رُسُله.

وقوله: (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) ، يقول تعالى ذكره: وإن ربك يا محمد لذو ستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس، فتاركٌ فضيحته بها في موقف القيامة، وصافحٌ له عن عقابه عليها عاجلا وآجلا= (على ظلمهم) ، يقول: على فعلهم ما فعلوا من ذلك بغير إذني لهم بفعله (٢) (وإن ربك لشديد العقاب) ، لمن هلك مُصِرًّا على معاصيه في القيامة، إن لم يعجِّل له ذلك في الدنيا، أو يجمعهما له في الدنيا والآخرة.

قال أبو جعفر: وهذا الكلام، وإن كان ظاهره ظاهرَ خبر، فإنه وعيدٌ من الله وتهديدٌ للمشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن هم لم ينيبوا ويتوبوا من كفرهم قبل حُلول نقمة الله بهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: {ويستعجلونك} (١) أي: هؤلاء المكذبون {بالسيئة قبل

الحسنة} أي: بالعقوبة، كما أخبر عنهم في قوله: {وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون * لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين * ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين} [الحجر:٦ -٨] وقال تعالى: {ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون * يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين} [العنكبوت: ٥٣، ٥٤] وقال: {سأل سائل بعذاب واقع} [المعارج: ١] وقال: {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق} [الشورى: ١٨] {وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب} [ص: ١٦] أي: حسابنا وعقابنا، كما قال مخبرا عنهم: {وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم} [الأنفال: ٣٢] فكانوا (٢) يطلبون من الرسول أن يأتيهم بعذاب الله، وذلك من شدة تكذيبهم وكفرهم وعنادهم.

قال الله تعالى: {وقد خلت من قبلهم المثلات} أي: قد أوقعنا نقمتنا بالأمم الخالية وجعلناهم مثلة وعبرة وعظة لمن اتعظ بهم.

ثم أخبر تعالى أنه لولا حلمه وعفوه [وغفره] (٣) لعالجهم بالعقوبة، كما قال تعالى: {ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة} [فاطر: ٤٥] (٤).

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: {وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم} أي: إنه ذو عفو وصفح (٥) وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار. ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب، ليعتدل الرجاء والخوف، كما قال تعالى: {فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد

بأسه عن القوم المجرمين} [الأنعام: ١٤٧] وقال: {إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم} [الأعراف: ١٦٧] وقال: {نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم} [الحجر:٤٩، ٥٠] إلى أمثال ذلك من الآيات التي تجمع الرجاء والخوف.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن جهل المكذبين لرسوله المشركين به، الذين وعظوا فلم يتعظوا، وأقيمت عليهم الأدلة فلم ينقادوا لها، بل جاهروا بالإنكار، واستدلوا بحلم [الله] الواحد القهار عنهم، وعدم معاجلتهم بذنوبهم أنهم على حق، وجعلوا يستعجلون الرسول بالعذاب، ويقول قائلهم: {اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم}

{و} الحال أنه {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ} أي: وقائع الله وأيامه في الأمم المكذبين، أفلا يتفكرون في حالهم ويتركون جهلهم {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ} أي: لا يزال خيره إليهم، وإحسانه وبره وعفوه نازلا إلى العباد، وهم لا يزال شرهم (١) وعصيانهم إليه صاعدًا.

يعصونه فيدعوهم إلى بابه، ويجرمون فلا يحرمهم خيره وإحسانه، فإن تابوا إليه فهو حبيبهم لأنه يحب التوابين، ويحب المتطهرين وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم، يبتليهم بالمصائب، ليطهرهم من المعايب {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم}

{وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} على من لم يزل مصرا على الذنوب، قد أبى التوبة والاستغفار والالتجاء إلى العزيز الغفار.

nostrababy.com

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ} الآية، المراد بالسيئة هنا: العقوبة وإنزال العذاب قبل الحسنة، أي: قبل العافية، وقيل الإيمان، وقد بين تعالى في هذه الآية أن الكفار يطلبون منه صلى الله عليه وسلم أن يعجل لهم العذاب الذي يخوفهم به إن تمادوا على الكفر، وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ} [٢٢/ ٤٧]، وكقوله: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمّىً لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} [٢٩/ ٥٣]، وكقوله: {يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [٢٩/ ٥٤]، وقوله: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} [٧٠/ ١، ٢]، وقوله: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ} الآية [٨/ ٣٢].

وقوله: {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ} [٤٢/ ١٨]، وقوله: {وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ} [٣٨/ ١٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

وسبب طلبهم لتعجيل العذاب هو العناد، وزعم أن النَّبي صلى الله عليه وسلم كاذب فيما يخوفهم به من بأس الله وعقابه، كما قال تعالى: {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ} [١١/ ٨]، وكقوله: {يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [٧/ ٧٧]، وقوله: {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [١١/ ٣٢]، كما تقدمت الإشارة إلى هذا.

MOSTAFABOOKS.COM

والمثلاث: العقوبات واحدتها مثلة.

والمعنى: أنهم يطلبون تعجيل العذاب تمرداً وطغياناً، ولم يتعظوا بما أوقع الله بالأمم السالفة من المثلاث، أي العقوبات، كما فعل بقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب، وفرعون وقومه وغيرهم.

قوله تعالى: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ}، بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم، وأنه شديد العقاب؛ فجمع بين الوعد والوعيد ليعظم رجاء الناس في فضله، ويشتد خوفهم من عقابه وعذابه الشديد؛ لأن مطامع العقلاء محصورة في جلب النفع ودفع الضر، فاجتماع الخوف والطمع أدعى للطاعة، وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: {فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [٦/ ١٤٧]، وقوله: {إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [٦/ ١٦٥] و[٧/ ١٦٧]، وقوله جلا وعلا: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} [١٥/ ٤٩، ٥٠]، وقوله: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ} الآية [٤٠/ ٣]، إلى غير ذلك من الآيات.

❁ ❁ ❁

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾.

ج: هذا – والله تعالى أعلم-: ويطلب أهل الكفر يا رسول الله منك أن تأتيهم بمعجزة كي يؤمنوا بزعمهم، وذلك كما في قولهم: لولا أُنزل عليك كنزٌ

أو جاء معه ملك، وكما قالوا: ﴿..﴾.

فيقول تعالى لنبيه ﷺ: عن هذا الأمر ليس لك بل هو لله سبحانه وتعالى هو الذي ينزل الآيات إن شاء ويمنعها إن شاء، إنما أنت منذرٌ محذرٌ تحذرهم، ومذكرٌ تُذكِّرهم، كما قال تعالى: ﴿﴾، وكما قال: ﴿﴾.

أما قوله: ﴿﴾ أي: ولكل أمة من يهديها ويرشدها.

والتحرير في هذا المقام في تفسير الهاد على النحو التالي، والله أعلم.

إذا قلنا إن الهداية هنا هداية التوفيق، فالهادي هو الله ﷻ، لا يهدي أحدٌ سواه.

وإذا قلنا إن الهداية هداية الدلالة فالهادي هو الله أيضًا، وثمَّ بعض خلقه يهدون بأمره كما قال تعالى: ﴿﴾.

فمن هؤلاء رسول الله ﷺ، وسائر الأنبياء والمرسلين فهؤلاء خير هداة يهدون إلى الله ﷻ، ويرشدون إلى طريقه.

وهنالك الدعاة إلى الله، وأهل العلم بالله يرشدون إلى طريق الله كذلك.

وإذا قلنا إن الهداية بمعنى الإرشاد فيدخل في هذا المعنى عموم المرشدين إلى الخير أو الشر فيكون الهاد القائد أو الإمام المتبع سواء كان هاديًا إلى الخير أو كان هاديًا إلى الشر، قال تعالى في شأن قوم فرعون، وجعلناهم ﴿﴾ هذا، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (ويقول الذين كفروا) يا محمد، من قومك= (لولا أنزل عليه آية من ربه) هلا أنزل على محمد آية من ربه؟ (١) يعنون علامةً وحجةً له على نبوّته (٢) وذلك قولهم: (لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنز أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) [سورة

هود: ١٢] يقول الله له: يا محمد (إنما أنت منذر) لهم، تنذرهم بأسَ الله أن يحلّ بهم على شركهم (٣) . (ولكل قوم هاد) . يقول ولكل قوم إمام يأتمُّون به وهادٍ يتقدمهم، فيهديهم إما إلى خيرٍ وإما إلى شرٍّ.

وأصله من "هادي الفرس"، وهو عنقه الذي يهدي سائر جسده. (٤)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنيِّ بالهادي في هذا الموضع.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) هذا قول مشركي العرب قال الله: (إنما أنت منذر ولكلّ قوم هاد) لكل قوم داعٍ يدعوهم إلى الله.

وبإسناد صحيح عن أبي الضحى: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) قالا محمد هو "المنذر" وهو "الهاد".

وقال آخرون: عنى بـ"الهادي" في هذا الموضع: الله.

وأورد بإسنادٍ حسن عن سعيد بن جبير قال: محمد "المنذر"، والله "الهادي".

وقال آخرون: "الهادي" في هذا الموضع معناه نبيٌّ.

وقال آخرون، بل عني به: ولكل قوم قائد.

وقال آخرون: هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال آخرون: معناه: لكل قوم داع.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد بينت معنى "الهداية"، وأنه الإمام المتبع الذي يقدُم القوم. (١) فإذ كان ذلك كذلك، فجائز أن يكون ذلك هو الله الذي يهدي خلَقه ويتَّبع خلقُه

MOSTAFALADY.COM

هداه ويأتمون بأمره ونهيه.

وجائز أن يكون نَبِيَّ الله الذي تأتمُّ به أمته.

وجائز أن يكون إمامًا من الأئمة يُؤْتَمْ به، ويتّبع منهاجَه وطريقته أصحابُه.

وجائزٌ أن يكون داعيًا من الدعاة إلى خيرٍ أو شرٍّ.

وإذ كان ذلك كذلك، فلا قول أولى في ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جل ثناؤه: إن محمدًا هو المنذر من أرسل إليه بالإنذار، وإن لكل قوم هاديًا يهديهم فيتّبعونه ويأتمُّون به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى إخبارا عن المشركين أنهم يقولون كفرا وعنادا: لولا يأتينا بآية من ربه كما أرسل الأولون، كما تعنتوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن يزيل (٢) عنهم الجبال، ويجعل مكانها مروجا وأنهارا، قال الله تعالى: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا} [الإسراء: ٥٩].

قال الله تعالى: {إنما أنت منذر} أي: إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التي أمرك بها، {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء} [البقرة: ٢٧٢].

وأورد أقوالًا في تفسير: ﴿﴾ على نحوٍ مما ذكره الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (ويقول الذين كفروا لولا) أي هلا (أنزل عليه آية من ربه). لما اقترحوا الآيات وطلبوها قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (إنما أنت منذر) أي معلم. (ولكل قوم هاد) أي نبي يدعوهم إلى الله. وقيل: الهادي الله، أي عليك الإنذار، والله هادي كل قوم إن أراد هدايتهم.

Mostafa.ayy.com

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ثناءٌ ومدح يثني الله ﷻ على نفسه ويمتدح نفسه، وهو أهل للثناء والمجد، يقول تعالى: الله يعلم ما تحمل كل أنثى، يعلم ما في بطنها أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ أطويل أم قصير؟ أأبيض أم أسود؟ أمليحٌ أم دميمٌ؟ إلى غير ذلك مما يتعلق بالحمل، فإن الله ﷻ يعلم كل شيء عن حاله، وكذا يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد أما تغيض فأصل تغيض تنقص كما قال تعالى: ﴿ ﴾

فعليه فمن العلماء من قال:

تغيض الأرحام تضع مولودها لأكل من تسعة أشهرٍ.

وقال آخرون: تغيض تقذف من دمٍ أثناء الحمل.

وقال آخرون: تُنزل المولود سقطاً التمام.

وقال آخرون: تغيض المراد به ما ولدته المرأة من قبل.

أما قوله تعالى: ﴿ ﴾ أي: وما تضع من حمل بعد تسعة أشهر.

وقوله تعالى: ﴿ ﴾ أي: يعلم ما غاب وما ظهر كل ذلك عنده سواء كما قال تعالى: ﴿ ﴾، وكما قال: ﴿ ﴾، وليس علمه متعلق بالقول فقط، إنما علمه محيط بكل شيء ظاهر أو خفي، أما قوله: ﴿ ﴾ فليس شيء أكبر منه، بل كل شيء دونه و﴿ ﴾ المستعلي على كل الأشياء بقدرته، وقيل: المتعال عن كل وصف رديء مما يصفه به أهل الشرك وغيرهم، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

MOSTAFA ADAWY.COM

يقول تعالى ذكره: (وإن تعجب فعجبٌ قولهم أئذا كنا ترابًا أئنا لفي خلق جديد) منكرين قدرة الله على إعادتهم خلقًا جديدًا بعد فنائهم وبلائهم، ولا ينكرون قدرته على ابتدائهم وتصويرهم في الأرحام، وتدبيرهم وتصريفهم فيها حالا بعد حال= فابتدأ الخبر عن ذلك ابتداءً، والمعنى فيه ما وصفت، (٢) فقال جل ثناؤه: (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد)، يقول: وما تنقص الأرحام من حملها في الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض (وما تزداد) في حملها على الأشهر التسعة لتمام ما نقص من الحمل في الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض= (وكل شي عنده بمقدار) لا يجاوز شيء من قَدَره عن تقديره، ولا يقصر أمر أراده فَدَبَره عن تدبيره، كما لا يزداد حمل أنثى على ما قُدِّرَ له من الحمل، ولا يُقصِّر عما حُدّ له من القدر.

و"المقدار"، مِفْعال من "القدر".

وأورد بإسنادٍ صحيح عن مجاهد، أنه قال: "الغيض"، ما رأت الحامل من الدم في حملها فهو نقصان من الولد، و"الزيادة" ما زاد على التسعة أشهر، فهو تمام للنقصان وهو زيادة.

وبسندٍ صحيح عن عكرمة في هذه الآية: (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام)، قال: كلما غاضت بالدم، زاد ذلك في الحمل.

وبسندٍ حسن عن قتادة قوله: (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد) قال: كان الحسن يقول: "الغيضوضة"، (١) أن تضع المرأة لستة أشهر أو لسبعة أشهر، أو لما دون الحدّ= قال قتادة: وأما الزيادة، فما زاد على تسعة أشهر.

وأورد في تفسير قوله تعالى: ﴿﴾ بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وكل شيء

عنده بمقدار) إي والله، لقد حفظ عليهم رزقهم وآجالهم، وجعل لهم أجلا معلومًا.

وقال في تأويل قوله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) }

يقول تعالى ذكره: والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم تروه، وما شاهدتموه، فعاينتم بأبصاركم، لا يخفى عليه شيء، لأنهم خلقه (١) وتدبيره="الكبير الذي كل شيء دونه"، (٢) ="المتعال" المستعلي على كل شيء بقدرته.

وهو"المتفاعل" من"العلو" مثل"المتقارب" من القرب و"المتداني" من الدنوّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء، وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات، كما قال تعالى: {ويعلم ما في الأرحام} [لقمان: ٣٤] أي: ما حملت من ذكر أو أنثى، أو حسن أو قبيح، أو شقي أو سعيد، أو طويل العمر أو قصيره، كما قال تعالى: {هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى} [النجم: ٣٢] .

وقال تعالى: {يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث} [الزمر:٦] أي: خلقكم طورا من بعد طور، كما قال تعالى: {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين} [المؤمنون: ١٢: ١٤] وفي

MOSTAFAADW.COM

الصحيحين عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[١] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: يَكْتب رِزْقَهُ، وَعُمُرَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشِقِّيٌ أَوْ سَعِيدٌ».

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «فَيَقُولُ الْمَلَكُ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ أَيْ رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيَقُولُ اللهُ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ».

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تعالى: ﴿﴾ ما أخرجه البخاري[٢] من حديث ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا (٥) إِلَّا اللهُ: لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تقوم الساعة إلا الله»[٣].

... ثم قال:

وقال قتادة: {وكل شيء عنده بمقدار} أي: بأجل، حفظ أرزاق خلقه وآجالهم، وجعل لذلك أجلا معلوما.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: أَنَّ إِحْدَى بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ بَعَثَتْ إِلَيْهِ: أَنَّ ابْنًا لَهَا فِي الْمَوْتِ، وَأَنَّهَا تُحِبُّ أَنْ يَحْضُرَهُ. فَبَعَثَ إِلَيْهَا يَقُولُ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرُوهَا فَلْتَصْبِرْ وَلِتَحْتَسِبْ»[٤] الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ.

(١) البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).
(٢) البخاري (٤٦٩٧).
(٣) البخاري (٧٣٧٧)، ومسلم (٩٢٣).
(٤) البخاري (٦٦٥٥)، ومسلم (٦٣٦).

ALMAKTABA.COM

وقوله: {عالم الغيب والشهادة} أي: يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم، ولا يخفى (٢) عليه منه شيء. {الكبير} الذي هو أكبر من كل شيء، {المتعال} أي: على كل شيء، قد أحاط بكل شيء علما، وقهر كل شيء، فخضعت له الرقاب ودان له العباد، طوعا وكرها.

❁ ❁ ❁

تعريف المعقبات والمراد بهم

س: الهاء في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ راجعة إلى ماذا؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنها راجعة إلى الله ﷻ، والمعنى لله معقبات.

الثاني: أنها راجعة إلى الإنسان.

الثالث: أنها راجعة إلى رسول الله ﷺ.

الرابع: أنها راجعة إلى رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالمعقبات؟

ج: المراد الذين يتعاقبون، يأتي بعضهم بعد بعض، وقيل: إنهم الملائكة كما قال رسول الله ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...**».

وقيل: إنهم الحرس الذين يحرسون الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: يحفظونه بأمر الله ﷻ.

MOSTAFAALADWY.COM

الثاني: يحفظونه من الأمور التي لم يقدرها الله ﷻ، فمثلًا إذا رماه أحد بحجر ولم يرد الله له أن يُصاب حفظته الملائكة بإذن ربها.

الثالث: يحفظونه، وحفظهم نفسه من أمر الله، كما في الآية: ﴿﴾.

الرابع: يحفظون عليه أعماله الحسنة وأعماله السيئة فيكتبونها عليه.

الخامس: يحفظونه حتى يسلمونه لأمر الله، أي: لقضاء الله.

السادس - على قول من قال-: إن المعقبات هم الحراس الذين يتخذهم الملوك والأمراء، وهو: يحفظنه حتى لا يُصاب بشيء مما قدره الله بزعمهم، ولكنهم لا يستطيعون.

هذا، وثم وجوه أُخر. والله أعلم

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك وجهان:

أحدهما: أن الله ﷻ لا يحوِّل نعمه إلى عبادة إلى نقم ينتقم منهم إلا إذا حولوا ما بهم من طاعة إلى معصية، ومن إيمان وتصديق إلى كفر وتكذيب.

ويشهد لهذا القول عدة نصوص كقوله تعالى: ﴿﴾.

وكذا تشهد له النصوص المتكاثرة التي مفادها أن المعاصي سببٌ لزوال النعم.

ولا يعترض على هذا بالابتلاءات التي تصيب المؤمن فإنها لرفعة الدرجات وليست نقمًا من الله ﷻ.

الثاني: أن المراد أن الله ﷻ لا يغير أحوال قوم حتى يسعوا هم في تغييرها فإن سعوا في تغييرها أو سعى بعض البشر لتغييرها فإن الله سبحانه يساعده

mostafawy.com

ويُعينهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: يستوي عند الله ﷻ إخفاء من أخفى القول وإظهار من أظهره فكل ذلك عند الله سواء، والله يعلمه، كما قال تعالى: ﴿﴾.

وكذا يستوي عند الله ﷻ المختفي الذي يعمل أعمالًا بالليل ويحرص على أن لا يراه أحد، وكذا السارب بالنهار الذي يسعى نهارًا سعيًا ظاهرًا، وذهابًا وإيابًا أمام الخلق، فهؤلاء جميعًا - المستخفون بالليل والساربون بالنهار، يعلم الله ﷻ أحوالهم وأعمالهم وأقوالهم.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فتقدم الكلام فيها بما حاصله: أن لله ﷻ ملائكة يتعاقبون على العبد يحفظونه بأمر الله لهم بحفظه، يحفظونه من أي شيء لم يُرد الله له أن يُصاب به ولإيضاح ذلك قد يكون الشخص راكبًا سيارة، ويريد الله له السلامة أثناء سيره فمهما حدث من حوله فإن ملائكة الله تحفظه من أي شيء لم يرد الله له أن يصاب به، فإذا أراد الله له أن يصاب بحادث تنحت الملائكة حتى ينفذ فيه قدر الله.

وكذا إذا أراده البشر بسوء، وإذا أرادته الجن والهوام والسباع بسوء لم يقدره الله عليه فإن الملائكة تحفظه من كل ذلك، حتى إذا أراد الله به مكروهًا أصيب بالذي أراده الله له.

ARCHIVE.ABOUTISLAM.NET

وقال بعض أهل العلم، وقد تقدم، أن المراد بقوله: ﴿﴾ أنه الملك من ملوك الدنيا والرئيس من رؤوسائها والأمير والعزيز، كل هؤلاء يتخذون حرسًا يدفع عنهم السوء والمكروه بزعمهم فيجعلون الحرس من الأمام ومن الخلف حراسة لهم ودفاعًا عنهم ظآنين أن هذا يدفع عنهم قدر الله، ولكن إذا جاء قدر الله، وأراد الله بهم سوء فلا مانع لوقوعه ولا راد لقضائه ولا ينفع ذلك الحرس.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ أي: ليس لهذا السوء الذي يريده الله بالقوم من دافع يدفعه ولا راد يردُّه، وما لهم سوى الله من ناصر ينصرهم ولا من وليٍّ يتولاهم، ولا من حافظ يحفظهم. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: معتدلٌ عند الله منكم، أيها الناس، الذي أسر القول، والذي جهر به، والذي هو مستخفٍ بالليل في ظلمته بمعصية الله="وسارب بالنهار"، يقول: وظاهر بالنهار في ضوئه، لا يخفى عليه شيء من ذلك. سواء عنده سِرُّ خلقه وعلانيتهم، لأنه لا يستسرّ عنده شيء ولا يخفى.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله:(سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) كل ذلك عنده تبارك وتعالى سواء، السر عنده علانية= قوله:(ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) ، أي: في ظلمه الليل، و"سارب": أي: ظاهر بالنهار .

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: معناه: لله تعالى ذكرهُ معقِّباتٌ قالوا:"الهاء" في قوله:"له"

من ذكر اسم الله.

و"المعقبات" التي تعتقب على العبد. (١) وذلك أن ملائكة الليل إذا صعدت بالنهار أعقبتها ملائكة النهار، فإذا انقضى النهار صعدت ملائكة النهار ثم أعقبتها ملائكة الليل. وقالوا: قيل"معقبات"، و"الملائكة": جمع"ملك" مذكر غير مؤنث، وواحد"الملائكة""معقِّب"، وجماعتها"مُعَقبة"، ثم جمع جمعه= أعني جمع"معقّب" بعد ما جمع"مُعَقّبة"= وقيل"معقِّبات"، كما قيل:"سادات سعد"، (٢) "ورجالات بني فلان"، جمع"رجال".

وقوله:(من بين يديه ومن خلفه) ، يعني بقوله:(من بين يديه) ، من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار (٣) (ومن خلفه)، من وراء ظهره .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: معناه: لله تعالى ذكرُهُ معقِّباتٌ قالوا:"الهاء" في قوله:"له" من ذكر اسم الله.

و"المعقبات" التي تعتقب على العبد. (١) وذلك أن ملائكة الليل إذا صعدت بالنهار أعقبتها ملائكة النهار، فإذا انقضى النهار صعدت ملائكة النهار ثم أعقبتها ملائكة الليل. وقالوا: قيل"معقبات"، و"الملائكة": جمع"ملك" مذكر غير مؤنث، وواحد"الملائكة""معقِّب"، وجماعتها"مُعَقبة"، ثم جمع جمعه= أعني جمع"معقّب" بعد ما جمع"مُعَقّبة"= وقيل"معقِّبات"، كما قيل:"سادات سعد"، (٢) "ورجالات بني فلان"، جمع"رجال" .

وقوله:(من بين يديه ومن خلفه) ، يعني بقوله:(من بين يديه) ، من قدام

MOSTAFALABIB.COM

هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار (٣) (ومن خلفه)، من وراء ظهره .

وأورد من وجوه تصح بمجموعها عن ابن عباس:(له معقبات من بين يديه ومن خلفه) قال: ذلك ملك من مُلوك الدنيا له حَرسٌ من دونه حرَس .

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، قولُ من قال:"الهاء"، في قوله:(له معقبات) من ذكر "مَنْ" التي في قوله:(ومَنْ هو مستخف بالليل) ="وأن المعقبات من بين يديه ومن خلفه"، هي حرسه وجلاوزته، (٣) كما قال ذلك من ذكرنا قوله .

وإنما قلنا:"ذلك أولى التأويلين بالصواب"، لأن قوله:(له معقبات) أقرب إلى قوله:(ومن هو مستخف بالليل) منه إلى عالم الغيب، فهي لقربها منه أولى بأن تكون من ذكره، وأن يكون المعنيَّ بذلك هذا، مع دلالة قول الله:(وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) على أنهم المعنيُّون بذلك.

وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قومًا أهل معصيةٍ له وأهلَ ريبة، يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار، ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم، ومَنْعَة تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله. ثم أخبر أنّ الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءًا لم ينفعهم حَرَسهم، ولا يدفع عنهم حفظهم .

وقوله:(يحفظونه من أمر الله) اختلف أهل التأويل في تأويل هذا الحرف على نحو اختلافهم في تأويل قوله:(له معقبات) .

= فمن قال:"المعقبات" هي الملائكة قال: الذين يحفظونه من أمر الله هم أيضًا الملائكة.

ومن قال:"المعقبات" هي الحرس والجلاوزة من بني آدم قال: الذين

يحفظونه من أمر الله هم أولئك الحرس .

واختلفوا أيضًا في معنى قوله:(من أمر الله) .

فقال بعضهم: حفظهم إيّاه من أمره .

وقال بعضهم:(يحفظونه من أمر الله) بأمر الله .

وأورد أقوالًا مؤداها الملائكة الحفظة، وحفظهم إياه من أمر الله.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، أي: بأمر الله.

وفي بعض القراءات: ﴿﴾ .

وقال بعد أن أورد عدة أقوالٍ وفندها:

فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: سواء منكم، أيها الناس من أسرّ القول ومن جهر به عند ربكم، ومن هو مستخف بفسقه وريبته في ظلمة الليل، وساربٌ يذهب ويجيء في ضوء النهار ممتنعًا بجنده وحرسه الذين يتعقبونه من أهل طاعة الله أن يحولوا بينه وبين ما يأتي من ذلك، وأن يقيموا حدَّ الله عليه، وذلك قوله:(يحفظونه من أمر الله) .

وقوله:(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) يقول تعالى ذكره:(إن الله لا يغير ما بقوم) ، من عافية ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم=(حتى يغيروا ما بأنفسهم) من ذلك بظلم بعضهم بعضًا، واعتداء بعضهم على بعض، فَتَحلَّ بهم حينئذ عقوبته وتغييره .

وقوله:(وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مردّ له) يقول: وإذا أراد الله= بهؤلاء الذين يستخفون بالليل ويسربون بالنهار، لهم جند ومنعة من بين أيديهم ومن خلفهم، يحفظونهم من أمر الله= هلاكًا وخزيًا في عاجل الدنيا، =(فلا مردّ له) يقول: فلا يقدر على ردّ ذلك عنهم أحدٌ غيرُ الله . يقول تعالى ذكره:(وما لهم

من دونه من وال) يقول: وما لهؤلاء القوم= و"الهاء والميم" في"لهم" من ذكر القوم الذين في قوله:(وإذا أراد الله بقوم سوءًا) . من دون الله=(من والٍ) يعني: من والٍ يليهم ويلي أمرهم وعقوبتهم .

وأورد أقوالًا ثم قال:

وأما قوله:(يحفظونه من أمر الله) فإن أهل العربية اختلفوا في معناه.

فقال بعض نحويي الكوفة: معناه: له معقبات من أمر الله يحفظونه، وليس من أمره [يحفظونه]، (١) إنما هو تقديم وتأخير . قال: ويكون يحفظونه ذلك الحفظ من أمر الله وبإذنه، كما تقول للرجل:"أجبتك من دعائك إياي، وبدعائك إياي" .

وقال بعض نحويي البصريين، معنى ذلك: يحفظونه عن أمر الله، كما قالوا:"أطعمني من جوع، وعن جوع" و"كساني عن عري، ومن عُرْيٍ" .

وقد دللنا فيما مضى على أن أولى القول بتأويل ذلك أن يكون قوله:(يحفظونه من أمر الله) ، من صفة حرس هذا المستخفي بالليل، وهي تحرسه ظنًّا منها أنها تدفع عنه أمرَ الله، فأخبر تعالى ذكره أن حرسه ذلك لا يغني عنه شيئًا إذا جاء أمره، فقال:(وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له وما لهم من دونه من والٍ) .

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه، سواء (٣) منهم من أسر قوله أو جهر به، فإنه يسمعه لا يخفى عليه شيء كما قال: { وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } [طه: ٧] وقال: { وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ } [النمل: ٢٥] وقالت عائشة، رضي الله عنها: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، والله

Nosrafraby.com

لقد جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا في جنب البيت، وإنه ليخفى عليَّ بعض كلامها، فأنزل الله: { قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } [المجادلة: ١] .

وقوله: { وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ } أي: مختف في قعر بيته في ظلام الليل، { وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ } أي: ظاهر ماش في بياض النهار وضيائه، فإن كليهما (٤) في علم الله على السواء، كما قال تعالى: { أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ } [هود: ٥] وقال تعالى: { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [يونس: ٦١].

وقوله: { لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ } أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حَرَس بالليل وحَرَس بالنهار، يحفظونه من الأسواء (٥) والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين و[عن] (٦) الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحدا (٧) من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلا حافظان وكاتبان، كما جاء في الصحيح[(١)]: **"يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم**

(١) البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) وغيرهما.

فيسألهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون".

وأورد قولين في تفسير قوله تعالى: ﴿﴾.

أحدهما: المراد حفظهم له من أمر الله.

والثاني: يحفظونه بأمر الله.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يغير ما بقوم حتى يقع منهم تغيير إما منهم أو من الناظر لهم أو ممن هو منهم بسبب كما غير الله بالمنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة بأتفسهم إلى غير هذا من أمثلة الشريعة فليس معنى الآية أنه ليس ينزل بأحد عقوبة إلا بأن يتقدم منه ذنب بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير كما قال ﷺ – وقد سئل أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث» والله أعلم.

قوله تعالى: { وإذا أراد الله بقوم سوءا } أي هلاكا وعذابا { فلا مرد له } وقيل: إذا أراد بهم بلاء من أمراض وأسقام فلا مرد لبلائه وقيل: إذا أراد الله بقوم سوءا أعمى أبصارهم حتى يختاروا ما فيه البلاء ويعملوه فيمشون إلى هلاكهم بأقدامهم حتى يبحث أحدهم عن حتفة بكفه ويسعى بقدمه إلى إراقة دمه { وما لهم من دونه من وال } أي ملجأ وهو معنى قول السدي وقيل: من ناصر يمنعهم من عذابه وقال الشاعر:

ما في السماء سوى الرحمن من وال

ووال وولي كقادر وقدير

Nosrafabdelwahed.com

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ}، بين تعالى في هذه الآية الكريمة، أنه لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية، حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة الله جل وعلا.

والمعنى: أنه لا يسلب قوماً نعمة أنعمها عليهم، حتى يغيروا ما كانوا عليه من الطاعة والعمل الصالح، وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} الآية [٨/ ٥٣]، وقوله: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [٤٢/ ٣٠].

وقد بين في هذه الآية أيضاً: أنه إذا أراد قوماً بسوء فلا مرد له، وبين ذلك أيضاً في مواضع أخر، كقوله: {وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [٦/ ١٤٧]، ونحوها من الآيات. وقوله في هذه الآية الكريمة: {حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}، يصدق بأن يكون التغيير من بعضهم كما وقع يوم أحد بتغيير الرماة ما بأنفسهم فعمت البلية الجميع، وقد سئل صلى الله عليه وسلم: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر الخبث"، والله تعالى أعلم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

{ سَوَاءٌ مِنْكُمْ } في علمه وسمعه وبصره.

{ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ } أي: مستقر بمكان خفي فيه، { وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ } أي: داخل سربه في النهار والسرب هو ما يختفي فيه الإنسان إما جوف بيته أو غار أو مغارة أو نحو ذلك.

Mostafa Adel.com

{ لَهُ } أي: للإنسان { مُعَقِّبَاتٌ } من الملائكة يتعاقبون في الليل والنهار.

{ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ } أي: يحفظون بدنه وروحه من كل من يريده بسوء، ويحفظون عليه أعماله، وهم ملازمون له دائما، فكما أن علم الله محيط به، فالله قد أرسل هؤلاء الحفظة على العباد، بحيث لا تخفى أحوالهم ولا أعمالهم، ولا ينسى منها شيء، { إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ } من النعمة والإحسان ورغد العيش { حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها فيسلبهم الله عند ذلك إياها.

وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة، { وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا } أي: عذابا وشدة وأمرا يكرهونه، فإن إرادته لا بد أن تنفذ فيهم.

{ فَ } إنه { لا مَرَدَّ لَهُ } ولا أحد يمنعهم منه.

❁ ❁ ❁

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿ ﴾ سبب نزول؟

ج: قد وردت لها عدة أسباب للنزول، وفي كل سندٍ منها مقال، والذي يبدو أنه حسن بمجموع طرقه ما أخرجه البزار وغيره[1] من طرق عن ثابت عَن أَنَسٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ يَدْعُوهُ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَالَ: أَيْش رَبُّكَ الَّذِي تَدْعُو

(١) البزار (٣/ ٥٤) كشف الاستار، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٠٤)، وأبو يعلى (٦/ ٨٧)، والنسائي في التفسير (١/ ٩٩)، والطبري وغيرهم.

MOSTAFABDW.COM

إِلَيْهِ؟ مِنْ نُحَاسٍ هُوَ؟ مِنْ حَدِيدٍ هُوَ؟ مِنْ فِضَّةٍ هُوَ؟ مِنْ ذَهَبٍ هُوَ؟ فَأَتَى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم فَأَخْبَرَهُ فَأَعَادَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم الثَّانِيَة ، فَقَالَ: مِثْلَ ذَلِكَ فَأَتَى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم فَأَخْبَرَهُ فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ الثَّالِثة فَقَالَ: مِثْلَ ذَلِكَ فَأَتَى النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم فَأَخْبَرَهُ فَأَرْسَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ عَلَى صَاحِبِكَ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ {وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وهم يجدلون في الله، وهُو شديد المحال} .

❁ ❁ ❁

س: ما صحة الحديث الذي فيه أن النبي ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد الشديد قال: «اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك»؟

ج: ذاك حديث ضعيف الإسناد، بل شديد الضعف، أخرجه الطبري وغيره بإسنادٍ مُعضل.

❁ ❁ ❁

س: ما صحة الوارد عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا سمع الرعد قال: «سبحان من يسبح الرعد بحمده»؟

ج: أيضًا سنده ضعيف أخرجه الطبري وغيره وفي سنده مُبهم.

❁ ❁ ❁

س: هل الرعد ملك؟

ج: الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الباب لا يخلو حديث منها من مقال، وأراها غريبة.

MOSTAFAALBAYY.COM

فقد أخرج الترمذي[١] من طريق بُكَيْرِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «**مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللهُ**» فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: «**زَجْرَةٌ بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ**» قَالُوا: صَدَقْتَ. فَقَالُوا: فَأَخْبِرْنَا عَمَّا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: «**اشْتَكَى عِرْقَ النَّسَا فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ إِلَّا لُحُومَ الإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا**» قَالُوا: صَدَقْتَ.

قال الترمذي عقبه: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

قلت: وبكير بن شهاب لم يوثقه معتبر.

وقد روي موقوفًا على علي أيضًا عند الطبري وغيره بأسانيد فيها مقال، ولا أعلم حديثًا صحيحًا سالمًا من العلة يفيد أن الرعد ملكٌ والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: والله ﷻ هو وحده الذي يُريكم البرق، وهو الضوء اللامع الساطع الذي يكاد يذهب بالأبصار، ذلكم الذي يصاحب الأمطار ويكون قبيل نزولها أيضًا، يريكم الله ﷻ إياه يخوِّفكم به فيكاد أن يذهب بالأبصار، وكذا فإن الأمطار المصاحبة له يخشى منها المسافر أن تفسد

(١) الترمذي (٣١١٧)، وله شواهد أُخر لا تخلو من مقال، وانظر الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٨٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٨٩).

عليه الطريق وتتلف عليه البضائع وكذا أحيانًا يصاحب بالسيول المدمرة المفسدة للزروع المتلفة للثمار، فالناس في شأنه وعند رؤيته ما بين خائفٍ من توابعه، وما بين فرحٍ سعيد بما يصاحبه من الأمطار التي يسقي الله بها العباد، ويحيي الله بها البلاد.

فالذي يصنع ذلك كلَّه هو الله ﷻ القدير الواحد.

وكذا فإنه سبحانه يبتدئ إنشاء السحب ويسوق بعضها إلى بعض حتى تثقل بما فيها من المياه كما قال تعالى: ﴿﴾.

فالذي يصنع ذلك كله هو الله ﷻ.

ذلكم الله ﷻ الذي يسبح الرعد بحمده، فالرعد يسبح بحمد ربِّه ﷻ، يمجِّده ويعظمه ويقول: سبحانك الله وبحمدك، وقد قيل: إن الرعد ملك، ومعلوم أن الرعد الصوت الشديد الذي يصاحب الأمطار قبيل نزولها أو أثناءها وكذا فإن الملائكة تسبح ربها ﷻ إجلالًا له وتعظيمًا وخوفًا ومهابةً، وكذا فإنه ﷻ يرسل الصواعق المحرقة المدمرة تحرق من شاء الله أن تحرقه فيصيب الله بها من يشاء.

ومع ذلك كله فإن أهل الشرك يجادلون في قدرة الله ﷻ وفي وحدانيته، وهو سبحانه شديد القوة شديد الأخذ والبطش والانتقام، وهو خير الماكرين ويكيد للكافرين كيدًا.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (هو الذي يريكم البرق) ، يعني أن الرب هو الذي يري عباده البرق= وقوله: (هو) كناية اسمه جلّ ثناؤه.

mostafaabdo.com

وقوله: (خوفًا) يقول: خوفًا للمسافر من أذاه. وذلك أن"البرق"، الماء، في هذا الموضع.

وقوله (وطمعًا) يقول: وطمعًا للمقيم أن يمطر فينتفع.

وأورد من وجوهٍ تصح: قوله: (هو الذي يريكم البرق خوفًا وطمعًا) ، يقول: خوفًا للمسافر في أسفاره، يخاف أذاه ومشقته= (وطمعًا،) للمقيم، يرجو بركته ومنفعته، ويطمع في رزق الله.

وقوله: (وينشئ السحاب الثقال) : ويثير السحاب الثقال بالمطر ويبدؤه.

يقال منه: أنشأ الله السحاب: إذا أبدأه، ونشأ السحاب: إذا بدأ ينشأ نَشْأً.

و"السحاب" في هذا الموضع، وإن كان في لفظ واحد، فإنها جمعٌ، واحدتها"سحابة"، ولذلك قال:"الثقال"، فنعتها بنعت الجمع، ولو كان جاء:"السحاب" الثقيل كان جائزًا، وكان توحيدًا للفظ السحاب، كما قيل: (الَّذِي جَعلَ لَكُمْ منَ الشَّجَرِ الأخْضَرِ نَارًا) [سورة يس: ٨٠] .

ومعنى قوله: (ويسبح الرعد بحمده) ، ويعظم اللهَ الرعدُ ويمجِّده، فيثنى عليه بصفاته، وينزهه مما أضاف إليه أهل الشرك به ومما وصفوه به من اتخاذ الصاحبة والولد، تعالى ربنا وتقدّس. (٢)

وقوله: (من خيفته) يقول: وتسبح الملائكة من خيفة الله ورَهْبته. (٣)

وأورد الطبري بعض أسباب النزول لقوله تعالى: ﴿﴾ قدمت ما صح منها، ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (وهم يجادلون في الله) ، يقول: وهؤلاء الذين أصابهم الله بالصواعق أصابهم في حال خُصومتهم في الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم. (٤)

MOSTAFAHADY.COM

وقوله: (وهو شديد المحال) يقول تعالى ذكره: والله شديدةٌ مماحلته في عقوبة من طغى عليه وعَتَا وتمادى في كفره.

و"المحال": مصدر من قول القائل: ما حلت فلانًا فأنا أماحله مماحلةً ومِحَالا و"فعلت" منه:"مَحَلت أمحَلُ محْلا إذا عرّض رجلٌ رجلا لما يهلكه ؛ ومنه قوله:"وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ"

وأورد أقوالًا في شديد المحال منها شديد القوة، ومنها: شديد الحيلة.

وأورد القرطبي عدة أقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿﴾.

* منها: شديد المكر.

* شديد التدبير.

* شديد الكيد.

* شديد الأخذ.

قلت (مصطفى): ويشهد لبعض ما ذُكر قوله تعالى: ﴿﴾.

وقوله تعالى: ﴿﴾.

وقوله تعالى: ﴿﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا} أي: يخاف منه الصواعق والهدم وأنواع الضرر، على بعض الثمار ونحوها ويطمع في خيره ونفعه.

{وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ} بالمطر الغزير الذي به نفع العباد والبلاد.

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ} وهو الصوت الذي يسمع من السحاب المزعج للعباد، فهو خاضع لربه مسبح بحمده، {و} تسبح {الْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ} أي:

MOSTAFALADWY.COM

خشعا لربهم خائفين من سطوته، {وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ} وهي هذه النار التي تخرج من السحاب، {فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ} من عباده بحسب ما شاءه وأراده وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ أي: شديد الحول والقوة فلا يريد شيئا إلا فعله، ولا يتعاصى عليه شيء ولا يفوته هارب.

فإذا كان هو وحده الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب التي فيها مادة أرزاقهم، وهو الذي يدبر الأمور، وتخضع له المخلوقات العظام التي يخاف منها، وتزعج العباد وهو شديد القوة - فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

❁ ❁ ❁

مثل مضروبٌ لبيان عدم انتفاع المشركين بدعاء أصنامهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: لله ﷻ الدعوة الحق وهي دعوة التوحيد لا إله إلا الله، فليدعوه الناس بها، أي: يدعونه مفردين إياه بالدعاء والعبادة دون من سواه.

فكل من دعا الله ﷻ وعبده وحده لا شريك له فقد دعاء دعوة الحق وعبد العبادة الحق، فإذا دعا الله وحده يستجاب له بإذن الله، فالذي يستجيب هو الله، والذي يكشف الضرَّ ويجيب المضطر هو الله.

وكذا من عبد الله وحده لا شريك له فتلك العبادة الحق المتقبلة، أما الأصنام والأوثان والآلهة الباطلة التي يدعونها من دون الله ﷻ فإنها لا تجيب عابديها إذا ادعوها ولا تعطيهم إذا سألوها، ولا تفقه ولا تفهم إذا عبدوها، وإنما شأنهم معها عند دعاءهم لها كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، وما هو

Mostafalobby.com

ببالغه، وهذا مثل ضُرب لمن يعبد غير الله ولمن يدعو غير الله ﷻ مثله كرجلٍ واقفٍ على شاطئ نهر يبسط كفيه إلى الماء ويقول: تعال يا ماء اصعد إليَّ يا ماء ويقف هكذا مناديًا دائمًا وأبدًا ينادي الماء كي يصعد إليه ولا يمد يده للماء، فأنى يستجاب له، أنى يستجيب الماء له، فدعاؤه في ذهاب وصياح فجهده ضائع وسعيه خائب، هكذا قال بعض أهل العلم في شرح هذا المثل.

وقال آخرون: إن المثل مضروب لرجل يضع يده في الماء ثم يقبض يده على الماء كي يرفعه فإذا قبضه الله تسرب الماء ولم يبق منه شيء في اليد، وكذا الذي يدعو غير الله لا يخلص من دعائه بشيء.

وثم أقوال أُخر في شرح هذا المثل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لله من خلقه الدعوة الحق، و"الدعوة" هي "الحق" كما أضيفت الدار إلى الآخرة في قوله: (وَلَدَارُ الآخِرَةِ) [سورة يوسف: ١٠٩]، وقد بينا ذلك فيما مضى. (١)

وإنما عنى بالدعوة الحق، توحيد الله وشهادةَ أن لا إله إلا الله.

وقوله: (والذين يدعون من دونه) يقول تعالى ذكره: والآلهة التي يَدْعونها المشركون أربابًا وآلهة.

وقوله (من دونه) يقول: من دون الله.

وإنما عنى بقوله: (من دونه) الآلهة أنها مقصِّرة عنه، وأنَّها لا تكون إلهًا، ولا يجوز أن يكون إلهًا إلا الله الواحد القهار، (١) ومنه قول الشاعر: (٢)

أُتُوعِدُنِي وَرَاء بَنِي رِيَاحٍ ... كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنّ يَدَاكَ دُونِي

يعني: لتقصرنَّ يداك عني.

MOSTAFAADAWY.COM

وقولـه: (لا يستجيبون لهـم بشـيء،) يقـول: لا تجيـب هـذه الآلهـة التـي يـدعوها هـؤلاء المشـركون آلهـةً بشـيء يريدونـه مـن نفـع أو دفـع ضـرٍّ = (إلا كباسط كفيه إلى الماء) ، يقول: لا ينفع داعي الآلهـة دعـاؤه إياهـا إلا كمـا ينفـع باسط كفيه إلـى المـاء بسطُه إياهمـا إليـه مـن غيـر أن يرفعـه إليـه في إنـاء، ولكـن ليرتفع إليه بدعائه إياه وإشارته إليه وقبضه عليه.

والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركـه مثلا بالقـابض علـى المـاء، (٤) قال بعضهم: (٥)

فـــإنِّي وإيَّـــاكُمْ وشَـــوْقًا إلَـــيْكُمُ كَقَـــابِضِ مَـــاءٍ لَـــمْ تَسِـــقْهُ أَنَامِلُـــه

يعني بذلك: أنه ليس في يده من ذلك إلا كما في يد القابض على المـاء، لأن القابض على الماء لا شيء في يده.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة:

قوله: (والذين يدعون من دونـه لا يستجيبون لهـم بشـيء إلا كباسـط كفيـه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) وليس ببالغه حتى يتمزَّع عنقه ويهلـك عطشًـا قال الله تعالى: (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) هذا مثل ضـربه الله ؛ أي هـذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثنَ وهذا الحجر لا يستجيب لـه بشـيء أبـدًا ولا يسُوق إليه خيرًا ولا يدفع عنه سوءًا حتى يأتيه المـوت، كمثـل هـذا الـذي بسـط ذارعيه إلى الماء ليبلغ فاه ولا يبلغ فاه ولا يصل إليه ذلك حتى يموت عطشًا.

وقـال آخـرون: معنـى ذلـك: والـذين يـدعون مـن دونـه لا يسـتجيبون لهـم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليتناول خياله فيه، وما هو ببالغ ذلك.

وقوله: (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) يقول: وما دعاء من كفـر بـالله مـا يـدعو مـن الأوثـان والآلهـة= (إلا في ضـلال)، يقـول: إلا في غيـر اسـتقامة ولا

هدًى، لأنه يشرك بالله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

بعد أن أورد أقوالًا في تفسير قوله تعالى: ﴿﴾.

ومعنى الكلام: أن هذا الذي يبسط يده إلى الماء، إما قابضا وإما متناولا له من بعد، كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه، الذي جعله محلا للشرب، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلها غيره، لا ينتفعون بهم أبدا في الدنيا ولا في الآخرة؛ ولهذا قال: {وما دعاء الكافرين إلا في ضلال}.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: لله وحده {دَعْوَةُ الْحَقِّ} وهي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى، أي: هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء، والخوف، والرجاء، والحب، والرغبة، والرهبة، والإنابة؛ لأن ألوهيته هي الحق، وألوهية غيره باطلة {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} من الأوثان والأنداد التي جعلوها شركاء لله.

{لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ} أي: لمن يدعوها ويعبدها بشيء قليل ولا كثير لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة {إِلا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ} الذي لا تناله كفاه لبعده، {لِيَبْلُغَ} ببسط كفيه إلى الماء {فَاهُ} فإنه عطشان ومن شدة عطشه يتناول بيده، ويبسطها إلى الماء الممتنع وصولها إليه، فلا يصل إليه.

كذلك الكفار الذين يدعون معه آلهة لا يستجيبون لهم بشيء ولا ينفعونهم في أشد الأوقات إليهم حاجة لأنهم فقراء كما أن من دعوهم فقراء، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من

MOSTAFALABWY.COM

ظهير.

{وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ} لبطلان ما يدعون من دون الله، فبطلت عباداتهم ودعاؤهم؛ لأن الوسيلة تبطل ببطلان غايتها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾.

ج: هذا، والعلم عند الله فيه وجوه:

أحدها: أن يُفسر السجود على حقيقته المعلومة ويكون سجود من في السموات والأرض صفة يعلمها الله ﷻ ويشكل على هذا أن الكافر لايسجد في الدنيا، ولدفع هذا الإشكال يُقال إن ما في الآية من العام المخصوص، ويكون المراد إلا الاشقياء من بني آدم، كما قال تعالى: ﴿﴾، ولهذا نظائر كثيرة في الكتاب العزيز، كما قال تعالى: ﴿﴾.

وقد قال تعالى: ﴿﴾.

ونحوه: ﴿﴾.

وقد قال تعالى: ﴿﴾.

الثاني: تأويل السجود بالانقياد والخضوع والاستسلام فمن العباد من ينقاد لله مستسلمًا طائعًا ومنهم من تنفذ فيه أقدار الله ﷻ رغمًا عنه فيموت ويمرض، ويُصاب ويبتلى وتمضي فيه المقادير ولا يستطيع منعها.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فالمعنى: أن ظلالهم تسجد في الصباح، وقبيل الغروب (بعد العصر إلى المغرب) وهذه طائفة من أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

MOSTAFAABDO.COM

يقول تعالى ذكره: فإن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الأوثان والأصنام لله شركاء من إفراد الطاعة والإخلاص بالعبادة له= فلله يسجد من في السموات من الملائكة الكرام ومن في الأرض من المؤمنين به طوعًا، فأما الكافرون به فإنهم يسجدون له كَرْهًا حين يُكْرَهون على السُّجود.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعًا وكرهًا) ، فأما المؤمن فيسجد طائعًا، وأما الكافر فيسجد كارهًا.

وقوله: (وظلالهم بالغدوّ والآصال) يقول: ويسجد أيضًا ظلالُ كل من سجد طوعًا وكرهًا بالغُدُوات والعَشَايا. (١) وذلك أن ظلَّ كلِّ شخص فإنه يفيء بالعشيّ، كما قال جل ثناؤه (أَوَلَمْ يَرَوْا إلى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ اليَمِينِ والشَّمَائِلِ سُجَّدًا للهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ) ، [سورة النحل:٤٨]

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولما كان الله تعالى هو الملك الحق المبين، كانت عبادته حقًّا متصلة النفع لصاحبها في الدنيا والآخرة.

وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء كما قال تعالى: {إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط}.

أي: جميع ما احتوت عليه السماوات والأرض كلها خاضعة لربها، تسجد له {طَوْعًا وَكَرْهًا} فالطوع لمن يأتي بالسجود والخضوع اختيارا كالمؤمنين، والكره لمن يستكبر عن عبادة ربه، وحاله وفطرته تكذبه في ذلك، {وَظِلالُهُمْ

MOSTAFALABIB.COM

بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ} أي: ويسجد له ظلال المخلوقات أول النهار وآخره وسجود كل شيء بحسب حاله كما قال تعالى: {وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم}.

فإذا كانت المخلوقات كلها تسجد لربها طوعا وكرها كان هو الإله حقا المعبود المحمود حقا وإلهية غيره باطلة.

قال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}، بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يسجد له أهل السموات والأرض طوعا وكرها وتسجد له ظلالهم بالغدو والآصال. وذكر أيضا سجود الظلال، وسجود أهل السموات والأرض، في قوله: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ} [١٦/ ٤٨، ٤٩] إلى قوله {يُؤْمَرُونَ} [١٦/ ٥٠]، واختلف العلماء في المراد بسجود الظل وسجود غير المؤمنين، فقال بعض العلماء: سجود من في السموات والأرض من العام المخصوص، فالمؤمنون والملائكة يسجدون لله سجوداً حقيقياً، وهو وضع الجبهة على الأرض يفعلون ذلك طوعا والكفار يسجدون كرها، أعني المنافقين، لأنهم كفار في الباطن ولا يسجدون لله إلا كرها، كما قال تعالى: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ} الآية [٤/ ١٤٢]، وقال تعالى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ} [٩/ ٥٤]، والدليل على أن سجود أهل

السموات والأرض من العام المخصوص، قوله تعالى في "سورة الحج": {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ} [٢٢/ ١٨]، فقوله: {وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ} [٢٢/ ١٨]، دليل على أن بعض الناس غير داخل في السجود المذكور وهذا قول الحسن وقتادة وغيرهما وذكره الفراء، وقيل: الآية عامة، والمراد بسجود المسلمين طوعاً انقيادهم لما يريد الله منهم طوعاً والمراد بسجود الكافرين كرهاً انقيادهم لما يريد الله منهم كرهاً، لأن إرادته نافذة فيهم وهم منقادون خاضعون لصنعه فيهم ونفوذ مشيئته فيهم، وأصل السجود في لغة العرب الذل والخضوع، ومنه قول زيد الخيل:

بجمع تضل البلق في حجراته ترى الأكم فيها سجداً للحوافر

ومنه قول العرب أسجد إذا طأطأ رأسه وانحنى، قال حميد بن ثور:

فلما لوين على معصم وكف خضيب وأسوارها

فضول أزمتها أسجدت سجود النصارى لأحبارها

وعلى هذا القول فالسجود لغوي لا شرعي، وهذا الخلاف المذكور جار أيضاً في سجود الظلال، فقيل سجودها حقيقي، والله تعالى قادر على أن يخلق لها إدراكاً تدرك به وتسجد لله سجوداً حقيقياً، وقيل سجودها ميلها بقدرة الله أول النهار إلى جهة المغرب وآخره إلى جهة المشرق، وادعى من قال هذا أن الظل لا حقيقة له لأنه خيال فلا يمكن منه الإدراك.

mostafaadawy.com

ونحن نقول: إن الله جل وعلا قادر على كل شيء فهو قادر على أن يخلق للظل إدراكًا يسجد به لله تعالى سجوداً حقيقيًا، والقاعدة المقررة عند علماء الأصول هي حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا بدليل من كتاب أو سنة ولا يخفى أن حاصل القولين أن:

أحدهما: أن السجود شرعي وعليه فهو في أهل السموات والأرض من العام المخصوص.

والثاني: أن السجود لغوي بمعنى الانقياد والذل والخضوع، وعليه فهو باق على عمومه والمقرر في الأصول عند المالكية والحنابلة وجماعة من الشافعية أن النص إن دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية حمل على الشرعية وهو التحقيق خلافًا لأبي حنيفة في تقديم اللغوية ولمن قال يصير اللفظ مجملاً لاحتمال هذا وذاك، وعقد هذه المسألة صاحب "مراقي السعود" بقوله:

واللفظ محمول على الشرعي ... إن لم يكن فمطلق العرفي

فاللغوي على الجلي ولم يجب ... بحث عن المجاز في الذي انتخب

وقيل: المراد بسجود الكفار كرها سجود ظلالهم كرهًا، وقيل الآية في المؤمنين فبعضهم يسجد طوعًا لخفة امتثال أوامر الشرع عليه، وبعضهم يسجد كرهًا لثقل مشقة التكليف عليه، مع أن إيمانه يحمله على تكلف ذلك، والعلم عند الله تعالى:

وقوله تعالى: {بِالْغُدُوِّ} [١٣/ ١٥]، يحتمل أن يكون مصدراً أو يحتمل أن يكون جمع غداة والآصال جمع أصل بضمتين وهو جمع أصيل وهو ما بين العصر والغروب،

ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

لعمـري لأنـت البيـت أكـرم أهلـه وأقعـــد في أفيائـــه بالأصـــائل

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا
وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ
شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾
أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ
عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ
ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ
﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ ۚ أَن
يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ۞

[الرعد: ١٦-٢٤]

Nosrapp.com

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَوْلِيَآءَ - ٱلْقَهَّارُ - بِقَدَرِهَا - فَٱحْتَمَلَ - زَبَدًا رَّابِيًا - ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ - مَتَٰعٍ - زَبَدٌ - جُفَآءً - ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ - ٱلْحُسْنَىٰ - لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ - سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ - وَمَأْوَىٰهُمْ - وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ - يَتَذَكَّرُ - أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ - بِعَهْدِ ٱللَّهِ - ٱلْمِيثَٰقَ - وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ - عُقْبَى ٱلدَّارِ - جَنَّٰتُ عَدْنٍ - صَلَحَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَوْلِيَآءَ﴾	أنصار.
﴿ٱلْقَهَّارُ﴾	الذي قهر كل شيء، قهر الجبابرة وقصمهم.
﴿بِقَدَرِهَا﴾	على قدر سعتها.
﴿فَٱحْتَمَلَ﴾	فحمل على وجهه (حمل الماء على وجهه).
﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾	رغاوي وفقاقيع عالية مرتفعة على سطح الماء.
﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾	طلبًا للحلية التي يتحلى بها من ذهب أو فضة أو غير ذلك.
﴿مَتَٰعٍ﴾	ما يتمتع به من القدور وغيرها.
﴿جُفَآءً﴾	متجافيًا عن ظهر الماء إلى جوانب البحر وشواطئه لا فائدة فيه ولا قيمة له ولا يبقى له كبير أثر.
﴿ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾	أجابوا ربهم وآمنوا به واتبعوا أمره.
﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾	الجنة - الحياة الحسنة في الدنيا والآخرة.
﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾	لقدموه فدية كي ينقذوا أنفسهم من النار.

Mostafa-Adly.com

﴿سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾	الحساب السيئ المصاحب بالتوبيخ والإهانة حساب لا يُتعاطى فيه عن السيئات بل يحاسبونه عليها كلها.
﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾	مصيرهم.
﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾	بئس المكان الذي ينامون عليه والفراش الذي يفترشونه.
﴿يَتَذَكَّرُ﴾	يتعظ - يعتبر.
﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	أصحاب العقول النيِّرة الرشيدة.
﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾	بالعهود التي عاهدوا الله عليها والمواثيق التي واثقوه عبها.
﴿ٱلۡمِيثَٰقَ﴾	العهد المؤكد باليمين - ما تحدث به الثقة من العهود.
﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾	يقابلون الإساءة بإحسان ويتبعون السيئة بالحسنة.
﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾	العاقبة الحسنة في الدار الآخرة وهي الجنة.
﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾	بساتين إقامة وحدائق، وقيل: عدن اسم لبعض الجنات.
﴿صَلَحَ﴾	آمن وعمل صالحًا.

MOSTAFAADWI.COM

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين اتخذوا مع الله إلهًا آخر يعبدونه ويجعلونه شريكًا لله ﷻ، قل لهم: من رب السموات والأرض، يدبر أمرهما بعد إذ خلقهما فسيقولون: خالقهما هو الله ومدبر أمرهما هو الله، إذا الله قال: ﴿﴾، فسواء أقروا لك بذلك أم لم يقروا بذلك، فقل أنت أيضًا الله رب السموات والأرض، فقل من ثَمَّ لهؤلاء المشركين أفتخذتم مع الله ﷻ أولياء ينصرونكم ويجلبون النفع لكم ويدفعون عنكم الضر ألا فاعلموا أن هؤلاء الأولياء الذين اتخذتموهم من دون الله لا يملكون لأنفسهم - فضلًا عن غيرهم - نفعًا ولا ضرًّا كما قال تعالى: ﴿﴾.

ثم قل يا رسول الله لهؤلاء: هل يستوي الأعمى (والمراد الأعمى عن الحق) والبصير (الذي يبصر الحق ويتبعه) أم هل تستوي الظلمات والنور، فكما أن الأعمى فاقد البصر لا يستوي مع المُبصر، وكما أن من يمشي في الظلمات لا يستوي مع من يمشي في النور، فكذلك لا يستوي الكافر الأعمى عن الحق السائر في الظلمات مع المؤمن البصير الذي يمشي على بصيرة من ربِّه وهدًى من ربِّه ﷻ.

ثم يقول تعالى موبِّخًا هؤلاءا لمشركين، أزعموا أن هناك إهلًا يخلق مع الله ﷻ، فخلق هذا الإله خلقًا يشابه خلق الله فمن ثَمَّ اشتبه عليهم الخلق، ولم يعلموا ما الذي خلقه الله، وما الذي خلقه معبودهم، فمن ثَمَّ عبدوا إلهًا مع الله، فقل لهؤلاء الذين عميت عليهم الأمور واشتبهت عليهم المسائل الله

خالق كل شيءٍ، وهو الواحد الذي ليس معه شريك، القهار الذي قهر بقوته كلَّ من دونه والذي قهر الجبابرة والظلمة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله:مَنْ رَبُّ السموات والأرض ومدبِّرها، فإنهم سيقولون الله. وأمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يقول:"الله"، فقال له: قل، يا محمد: ربُّها، الذي خلقها وأنشأها، هو الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله. ثم قال: فإذا أجابوك بذلك فقل لهم: أفاتخذتم من دون رب السموات والأرض أولياء لا تملك لأنفسها نفعًا تجلبه إلى نفسها، ولا ضرًّا تدفعه عنها، وهي إذ لم تملك ذلك لأنفسها، فمِنْ مِلْكه لغيرها أبعدُ فعبدتموها، وتركتم عبادة من بيده النفع والضر والحياة والموت وتدبير الأشياء كلها. ثم ضرب لهم جل ثناؤه مثلا فقال: (قل هل يستوي الأعمى والبصير) .

و يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عَبَدُوا من دون الله الذي بيده نفعهم وضرهم ما لا ينفع ولا يضرُّ: (هل يستوي الأعمى) الذي لا يُبصر شيئًا ولا يهتدي لمحجة يسلكها إلا بأن يُهدى= و"البصير" الذي يهدي الأعمى لمحجة الطريق الذي لا يُبصر؟ إنهما لا شك لغير مستويين. يقول: فكذلك لا يستوي المؤمن الذي يُبصر الحق فيتبعه ويعرف الهدى فيسلكه، وأنتم أيها المشركون الذين لا تعرفون حقا ولا تبصرون رَشَدًا.

وقوله: (أم هل تستوي الظلمات والنور) ، يقول تعالى ذكره: وهل تستوي

الظلماتُ التي لا تُرَى فيها المحجة فتُسْلَك ولا يرى فيها السبيل فيُرْكَب= والنور الذي تبصر به الأشياء ويجلو ضوءه الظّلام؟ يقول: إن هذين لا شك لغير مستويين، فكذلك الكفر بالله، إنما صاحبه منه في حَيرة يضرب أبدًا في غمرة لا يرجع منه إلى حقيقة، والإيمان بالله صاحبه منه في ضياء يعمل على علم بربه، ومعرفةٍ منه بأن له مثيبًا يثيبه على إحسانه ومعاقبًا يعاقبه على إساءته ورازقًا يرزقه ونافعًا ينفعه.

وقوله: (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أخَلَق أوثانُكم التي اتخذتموها أولياء من دون الله خلقًا كخلق الله، فاشتبه عليكم أمرُها فيما خَلقت وخَلَق الله فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك، أم إنما بكم الجهل والذهابُ عن الصواب؟ فإنه لا يشكل على ذي عقل أنّ عبادة ما لا يضرّ ولا ينفع من الفعل جهلٌ، وأن العبادة إنما تصلح للذي يُرْجَى نفعه وُيخْشَى ضَرَّه، كما أن ذلك غير مشكل خطؤه وجهلُ فاعله، كذلك لا يشكل جهل من أشرك في عبادة من يرزقه ويكفله ويَمُونه، من لا يقدِرُ له على ضرّ ولا نفع.

وقوله: (قل الله خالق كل شيء) ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين إذا أقرُّوا لك أن أوثانهم التي أشركوها في عبادة الله لا تخلق شيئًا، فاللهُ خالقكم وخالق أوثانكم وخالق كل شيء، (١) فما وجه إشراككم ما لا يخلق ولا يضرّ؟

وقوله: (وهو الواحد القهار) ، يقول: وهو الفرد الذي لا ثاني له (٢) = (القهار) ، الذي يستحق الألوهة والعبادة، لا الأصنام والأوثان التي لا تضر

ولا تنفع.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو؛ لأنهم معترفون (٢) أنه هو الذي خلق السموات والأرض، وهو ربها ومدبرها، وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم، وأولئك الآلهة لا تملك لنفسها (٣) ولا لعابديها بطريق الأولى {نفعا ولا ضرا} أي: لا تحصل منفعة، ولا تدفع مضرة. فهل يستوي من عبد هذه الآلهة مع الله، ومن عبد الله وحده لا شريك له، وهو على نور من ربه؟ ولهذا قال: {قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم} (٤) أي: أجعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب وتماثله في الخلق، فخلقوا كخلقه، فتشابه الخلق عليهم، فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره؟ أي: ليس الأمر كذلك، فإنه لا يشابهه شيء ولا يماثله، ولا ند له ولا عدل (٥) له، ولا وزير له، ولا ولد ولا صاحبة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم يعترفون (٦) أنها مخلوقة له عبيد له، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. وكما أخبر تعالى عنهم في قوله: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} [الزمر: ٣] (٧) فأنكر تعالى ذلك عليهم، حيث اعتقدوا ذلك، وهو تعالى لا يشفع عنده أحدإلا بإذنه، {ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له} [سبأ: ٢٣]، {وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} [النجم: ٢٦] وقال: {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا} [مريم:

Nostrabooks.com

٩٣ -٩٥] فإذا كان الجميع عبيدا، فلم يعبد بعضهم بعضا بلا دليل ولا برهان، بل بمجرد الرأي والاختراع والابتداع؟ ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك، وتنهاهم عن عبادة من سوى الله، فكذبوهم وخالفوهم، فحقت عليهم كلمة العذاب لا محالة، {ولا يظلم ربك أحدا} [الكهف: ٤٩].

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: (قل من رب السماوات والأرض) أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين: "قل من رب السماوات والأرض" ثم أمره أن يقول [لهم] «١» : هو الله إلزاما للحجة إن لم يقولوا ذلك، وجهلوا من هو. (قل أفاتخذتم من دونه أولياء) هذا يدل على اعترافهم بأن الله هو الخالق [وإلا] لم يكن للاحتجاج بقوله: "قل أفاتخذتم من دونه أولياء" معنى، دليله قوله: " ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله" «٢» [الزمر: ٣٨] أي فإذا اعترفتم فلم تعبدون غيره؟! وذلك الغير لا ينفع ولا يضر، وهو إلزام صحيح. ثم ضرب لهم مثلا فقال: (قل هل يستوي الأعمى والبصير) فكذلك لا يستوي المؤمن الذي يبصر الحق، والمشرك الذي لا يبصر الحق. وقيل: الأعمى مثل لما عبدوه من دون الله، والبصير مثل الله تعالى: (أم هل تستوي الظلمات والنور) أي الشرك والإيمان. وقرأ ابن محيصن وأبو بكر والأعمش وحمزة والكسائي " يسوي" بالياء لتقدم الفعل، ولأن تأنيث " الظلمات" ليس بحقيقي. الباقون بالتاء، واختاره أبو عبيد، قال: لأنه لم يحل بين المؤنث والفعل حائل. و" الظلمات والنور" مثل الإيمان والكفر، ونحن لا نقف على كيفية ذلك. (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق

عليهم) هذا من تمام الاحتجاج، أي خلق غير الله مثل خلقه فتشابه الخلق عليهم، فلا يدرون خلق الله من خلق آلهتهم. (قل الله خالق كل شيء) أي قل لهم يا محمد:" الله خالق كل شيء"، فلزم لذلك أن يعبده كل شي. والآية رد على المشركين والقدرية الذين زعموا أنهم خلقوا كما خلق الله. (وهو الواحد) قبل كل شيء." القهار" الغالب لكل شي، الذي يغلب في مراده كل مريد.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ إنما جاء السؤال والجواب من جهة، لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق كل شيء، فلما لم ينكروا، كان كأنهم أجابوا. ثم ألزمهم الحُجة بقوله: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: الأصنام توليتموهم فعبدتموهم وهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، فكيف لغيرهم؟! ثم ضرب مثلًا للذي يعبد الأصنام والذي يعبد الله بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ يعني المشرك والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾.

ثم قال:

ويعني بالظلمات والنور: الشركَ والإيمان. ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، فتشابه خلق الله بخلق هؤلاء؟ وهذا استفهام إنكار، والمعنى: ليس الأمر على هذا، بل إذا فكَّروا علموا أن الله هو المنفرد بالخلق، وغيره لا يخلق شيئًا.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ قال الزجاج: قُل ذلك وبيِّنه بما أخبرت به من الدلالة في هذه السورة مما يدل على أنه خالق كل شيء.

MOSTAFALABIB.COM

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا ذكر بطلانها وبرهن عليه بقوله: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}. أي: قل لهؤلاء المشركين به أوثانا وأندادا يحبونها كما يحبون الله، ويبذلون لها أنواع التقربات والعبادات: أفتاهت عقولكم حتى اتخذتم من دونه أولياء تتولونهم بالعبادة وليسوا بأهل لذلك؟

فإنهم {لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا} وتتركون ولاية من هو كامل الأسماء والصفات، المالك للأحياء والأموات، الذي بيده الخلق والتدبير والنفع والضر؟

فما تستوي عبادة الله وحده، وعبادة المشركين به، كما لا يستوي الأعمى والبصير، وكما لا تستوي الظلمات والنور.

فإن كان عندهم شك واشتباه، وجعلوا له شركاء زعموا أنهم خلقوا كخلقه وفعلوا كفعله، فأزلْ عنهم هذا الاشتباه واللبس بالبرهان الدال على توحد الإله بالوحدانية، فقل لهم: {اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} فإنه من المحال أن يخلق شيء من الأشياء نفسه.

ومن المحال أيضا أن يوجد من دون خالق، فتعين أن لها إلها خالقا لا شريك له في خلقه لأنه الواحد القهار، فإنه لا توجد الوحدة والقهر إلا لله وحده، فالمخلوقات وكل مخلوق فوقه مخلوق يقهره ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه، حتى ينتهي القهر للواحد القهار، فالقهر والتوحيد متلازمان

MOSTAFALABIB.COM

متعينان لله وحده، فتبين بالدليل العقلي القاهر، أن ما يدعى من دون الله ليس له شيء من خلق المخلوقات وبذلك كانت عبادته باطلة.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان):

قوله تعالى: {أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}، أشار تعالى: في هذه الآية الكريمة إلى أنه هو المستحق لأن يعبد وحده، لأنه هو الخالق ولا يستحق من الخلق أن يعبدوه إلا من خلقهم وأبرزهم من العدم إلى الوجود؛ لأن المقصود من قوله: {أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ} [١٣/ ١٦]، إنكار ذلك وأنه هو الخالق وحده بدليل قوله بعده {قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [١٣/ ١٦]، أي: وخالق كل شيء هو المستحق لأن يعبد وحده، ويبين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} الآية [٢/ ٢١]، وقوله: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [٢٥/ ٣]، وقوله: {أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [٧/ ١٩١]، وقوله: {هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} [٣١/ ١١]، إلى غير ذلك من الآيات؛ لأن المخلوق محتاج إلى خالقه فهو عبد مربوب مثلك يجب عليه أن يعبد من خلقه وحده، كما يجب عليك ذلك فأنتما سواء بالنسبة إلى وجوب عبادة الخالق وحده لا شريك له.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾.

ج: أسوق أولًا، وبالله التوفيق المعنى الإجمالي للآية الكريمة، ثم أعقِّب ذلك بتنزيلات أهل العلم لهذا المثل، فأقول، وبالله التوفيق:

أنزل الله ﷻ من السماء ماءً وهو ماء المطر فامتلأت الأودية كل وادٍ امتلأ بقدر سعته فالوادي الواسع الفسيح امتلأ والوادي الضيق أخذ على قدر سعته وضيقه وامتلأ هو الآخر، ولما امتلأت الأودية ظهر على سطح مائها زبدٌ، وهو الرغاوي التي تكون على سطح الماء، زبدٌ مرتفع على وجه الماء.

وكذا الذهب الذي يُراد تصفيته والنحاس وسائر المعادن تصهر بالنار فيوقدون النيران عليها حتى تنصهر طلبًا لصناعة الحلي من الذهب الخالص، أو لصناعة القدور، أو لصناعة كل ما يتمتع به وينتفع به، فعند انصهار هذها لمعادن يظهر أيضًا على وجهها زبدٌ رغاوي، وهي عبارة عن الأشياء الدخيلة على المعدن تطرد وتكون على السطح، وتكون زبدًا كالزبد الذي على وجه الماء، فهكذا يضرب الله الأمثال للحق، بأنه الشيء النافع المستقر، فهو الماء النافع، والمعدن النافع، وأما الباطل فهو الزبد الزائل المضمحل الذي يلقى به إلى الجوانب جانب الشاطئ أو جانب الأواني التي تصهر فيها المعادن، يذهب بلا فائدة منه، فهكذا يُضرب المثل للحق والباطل، فالحق في المثل الأول هو الماء المنتفع به، وفي المثل الثاني: هو المعدن الخالص الصافي المتبقي والباطل في المثلين هو الزبد الزائل الذي لا فائدة فيه.

هذا، وبشيء من التفصيل أقول مستعينًا بالله ﷻ.

من العلماء من قال: إن قوله تعالى: ﴿﴾ مثالٌ مضروب للقرآن والهدى والنور الذي أنزله الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ فكثيرًا ما يضرب المثل بالماء للقرآن والعلم النافع كما في حديث النبي ﷺ: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى**

والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا...» الحديث.

أما الأدوية فهي قلوب العباد، منها قلوب متسعة منشرحة تقبل كل الهدى والنور والعلم، وهي منشرحة لذلك فسيحة رحيبة تستقبل كل أمرٍ من الله ﷻ وكل أمر من رسوله ﷺ آمنة مطمئنة سامعة مطيعة محبةً راغبةً، قلوب متسعة للعلم أيضًا تفهم عن الله المراد، وقلوب أُخر ضيقة تتحمل القليل من ذلك. قلوب أصحابها ذوو أفهام أقل من الأولين.

وعلى كلٍّ فهذه وتلك لما نزل عليها الغيث، وهو العلم الشرعي والهدى والنور أخذت على قدر سعتها، وكان فيها قبل نزول القرآن بعض الشكوك وبعض الشبهات فارتفعت هذه الشكوك وبعض الشبهات كالزبد المرتفع على وجه الماء ثم ذهبت واضمحلت واستقر العلم النافع في الأرض، وكما استقر المعدن الأصلي في قاع الإناء الذي يصهر فيه.

وهناك قلوبٌ ضيقةٌ جدًّا بل مغلقة لم تقبل شيئًا من الماء أصلًا، ولم تقبل شيئًا من العلم أصلًا، كما قال تعالى: ﴿﴾.

فهذا الذي ذُكر وجه ذكره عددٌ من العلماء، وثم وجه آخر، وهو راجع إلى ما ذُكر أيضًا في الجملة ألا وهو أن الحق شبِّه بالماء الباقي الصافي، والباطل شبِّه بالزبد الذاهب المضمحل.

ووجه ثالث: أن الحق هو المؤمن مع إيمانه واعتقاده والباطل الكافر مع اعتقاده فالمؤمن ينتفع بإيمانه والكافر عمله واعتقاده كالزد الذي لا ينتفع به.

هذا وتضمنت الآية الكريمة مثلين مثلًا مائيًّا وهو قوله تعالى: ﴿﴾.

ومثلًا ناريًّا وهو: ﴿﴾.

ونحو هذين المثلين في سورة البقرة، وقد تقدما قال تعالى: ﴿﴾.

وقال تعالى: ﴿﴾.

وفي سورة النور: ﴿﴾.

وقبلها قوله تعالى: ﴿﴾ الآيات.

هذا، والله تعالى أعلم. ثم هذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك، والله المستعان، وهو أعلم بالصواب.

قال الطبري رحمه الله:

وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل، والإيمان به والكفر.

يقول تعالى ذكره: مثل الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله، مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض= (فسالت أوديةٌ بقدرها) ، يقول: فاحتملته الأودية بملئها، الكبير بكبره، والصغير بصغره= (فاحتمل السيل زبدًا رابيًا) ، يقول: فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء، زبدًا عاليًا فوق السيل.

فهذا أحدُ مثلي الحقّ والباطل، فالحق هو الماءُ الباقي الذي أنزله الله من السماء، والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل.

والمثل الآخر: (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية) يقول جل ثناؤه: ومثلٌ آخر للحقّ والباطل، مثل فضة أو ذهب يوقد عليها الناس في النار طلب حلية يتخذونها أو متاع، وذلك من النحاس والرصاص والحديد، يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به، (زبد مثله) ، يقول تعالى ذكره: ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زبد مثله، يعني: مثل زبد السَّيل لا ينتفع به ويذهب باطلا كما لا ينتفع بزبد السَّيل ويذهب باطلا.

ورفع"الزبد" بقوله: (ومما يوقدون عليه في النار) .

Mostafaabw.com

ومعنى الكلام: ومما يوقدون عليه في النار زبدٌ مثلُ زبد السيل في بطول زبده، وبقاء خالص الذهب والفضة.

يقول الله تعالى: (كذلك يضرب الله الحق والباطل) ، يقول: كما مثَّل الله مثلَ الإيمان والكفر، (١) في بُطُول الكفر وخيبة صاحبه عند مجازاة الله، بالباقي النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة، كذلك يمثل الله الحق والباطل = (فأما الزبد فيذهب جُفَاء) يقول: فأما الزبد الذي علا السيل والذهب والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها، فيذهب بدفع الرياح وقذف الماء به، وتعلُّقه بالأشجار وجوانب الوادي= (وأما ما ينفع الناس) من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس، فالماء يمكثُ في الأرض فتشربه، والذهب والفضة تمكث للناس= (كذلك يضرب الله الأمثال) يقول: كما مثَّل هذا المثل للإيمان والكفر، كذلك يمثل الأمثال.

وعنى بقوله: (رابيًا) ، عاليًا منتفخًا، من قولهم: رَبَا الشيء يَرْبُو رُبُوًا فهو راب، ومنه قيل للنَّشْز من الأرض كهيئة الأكمة: "رابية"، ومنه قول الله تعالى: (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ) . [سورة الحج٥/ سورة فصلت٣٩] . (١)

وقيل للنحاس والرصاص والحديد في هذا الموضع "المتاع"، لأنه يستمتع به، وكل ما يتمتع به الناس فهو "متاع"، (٢)

كما قال الشاعر: (٣)

تَمَتَّعْ يا مُشَعَّثُ إنَّ شَيْئًا ... سَبَقْتَ بِهِ المَمَاتَ هُوَ المَتَاعُ

وأما الجفاء فإني: حدثت[1] عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال أبو عمرو

(١) لا يخفى أن مثل هذا من الناحية الحديثية يُضعف؛ لأنه لا يُدرى من حدثه، ولكن كأن الطبري ارتضى هذا المعنى لقوله: ﴿جفاء﴾.

بن العلاء: يقال: قد أجفأت القِدْرُ، وذلك إذا غلت فانصبَّ زَبدها، أو سَكنَت فلا يبقى منه شيءٌ.

وأورد الطبري بسندٍ ضعيف عن ابن عباس قوله: (أنزل من السماء ماء فسالت أوديه بقدرها) فهذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكّها، فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله، وهو قوله: (فأما الزبد فيذهب جفاء) ، وهو الشك= (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) ، وهو اليقين، كما يُجْعل الحَلْيُ في النار فيؤخذ خالصُه ويترك خَبَثُه في النار، فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك.

وبسندٍ ضعيف أيضًا عن ابن عباس قوله: (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا رابيًا) ، يقول: احتمل السيل ما في الوادي من عود ودِمْنة، (ومما يوقدون عليه في النار) فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد، وللنحاس والحديد خَبَث، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء. فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة، وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأنبتت. فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله، والعمل السيءُ يضمحل عن أهله، كما يذهب هذا الزبد، فكذلك الهدى والحق جاء من عند الله، فمن عمل بالحق كان له، وبقي كما يبقى ما ينفع الناس في الأرض. وكذلك الحديد لا يستطاع أن تجعل منه سكين ولا سيف حتى يدخل في النّار فتأكل خبَثَه، فيخرج جيّده فينتفع به. فكذلك يضمحل الباطل إذا كان يوم القيامة، وأقيم الناس، وعرضت الأعمال، فيزيغ الباطل ويهلك، وينتفع أهل الحق بالحق، ثم قال: (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حِلْية أو متاع زبدٌ مثله) .

MostafaAbdo.com

وبسندٍ حسن عن الحسن، في قوله: (أنزل من السماء ماء فسالت أودية) إلى: (أو متاع زبد مثله) ، فقال: ابتغاء حلية الذهب والفضة، أو متاع الصُّفْر والحديد. قال: كما أوقد على الذهب والفضة والصُّفْر والحديد فخلص خالصه. قال: (كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) ، كذلك بقاء الحق لأهله فانتفعوا به.

وبسند صحيح عن عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدًا يقول: (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) ، قال: ما أطاقت ملأها= (فاحتمل السيل زبدًا رابيًا) قال: انقضى الكلام، ثم استقبل فقال: (ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حليه أو متاع زبد مثله) قال: المتاع: الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه= (زبد مثله) قال: خَبَثُ ذلك مثل زَبَد السيل. قال: (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) ، وأما الزبد فيذهب جفاء، قال: فذلك مثل الحق والباطل.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) ، الصغير بصغره، والكبير بكبره= (فاحتمل السيل زبدًا رابيًا) أي عاليًا (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء) و"الجفاء": ما يتعلق بالشجر= (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) . هذه ثلاثة أمثال ضربَها الله في مثلٍ واحد. يقول: كما اضمحلّ هذا الزبد فصار جُفاءً لا ينتفع به ولا تُرْجى بركته، كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله كما اضمحل هذا الزبد، وكما مكث هذا الماء في الأرض، فأمرعت هذه الأرض وأخرجت نباتها، كذلك يبقى الحق لأهله كما بقي هذا الماء في الأرض، فأخرج الله به ما أخرج من النبات= قوله: (ومما

Mostafaabdy.com

توقدون عليه في النار) الآية، كما يبقى خالص الذهب والفضة حين أدخل النار وذهب خَبَثه، كذلك يبقى الحق لأهله= قوله: (أو متاع زبد مثله) ، يقول: هذا الحديد والصُّفْر الذي ينتفع به فيه منافع. يقول: كما يبقى خالص هذا الحديد وهذا الصُّفر حين أدخل النار وذهب خَبَثه، كذلك يبقى الحق لأهله كما بقي خالصهما.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: {ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله" قال: هذا مثل ضربه الله للحق والباطل. فقرأ: (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا رابيًا) هذا الزبد لا ينفع= (أو متاع زبد مثله) ، هذا لا ينفع أيضًا قال: وبقي الماءُ في الأرض فنفع الناس، وبقي الحَلْيُ الذي صلح من هذا، فانتفع الناس به= (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) ، وقال: هذا مثل ضربه الله للحق والباطل.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه، والباطل في اضمحلاله وفنائه، فقال تعالى: {أنزل من السماء ماء} أي: مطرا، {فسالت أودية بقدرها} أي: أخذ كل واد بحسبه، فهذا كبير وسع كثيرا من الماء، وهذا صغير فوسع بقدره، وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علما كثيرا، ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها، {فاحتمل السيل زبدا رابيا} أي: فجاء على وجه الماء الذي سال في هذه الأودية زبد عال عليه، هذا مثل، وقوله: {ومما يوقدون عليه في النار} هذا هو المثل الثاني، وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة {ابتغاء حلية} أي: ليجعل حلية أو

MOSTAFAABDO.COM

نحاسا أو حديدا، فيجعل متاعا فإنه يعلوه زبد منه، كما يعلو ذلك (١) زبد منه. {كذلك يضرب الله الحق والباطل} أي: إذا اجتمعا لا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء، ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار، بل يذهب ويضمحل؛ ولهذا قال: {فأما الزبد فيذهب جفاء} أي: لا ينتفع به، بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح. وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب، لا يرجع (٢) منه شيء، ولا يبقى إلا الماء (٣) وذلك الذهب ونحوه ينتفع به؛ ولهذا قال: {وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال} كما قال تعالى: {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون} [العنكبوت: ٤٣].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد ضرب الله، سبحانه وتعالى، في أول سورة البقرة للمنافقين مثلين ناريا ومائيا، وهما قوله: {مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله} الآية [البقرة: ١٧]، ثم قال: {أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق} الآية [البقرة: ١٩]. وهكذا ضرب للكافرين في سورة النور مثلين، أحدهما: قوله: {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء} [النور: ٣٩] الآية، والسراب إنما يكون في شدة الحر؛ ولهذا جاء في الصحيحين[(١)]: «**فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: أَيْ رَبَّنَا، عَطِشْنَا فَاسْقِنَا. فَيُقَالُ: أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيَرِدُونَ النَّارَ فَإِذَا هِيَ كَالسَّرَابِ يَحْطِمِ بَعْضُهَا بَعْضًا**».

ثم قال في المثل الآخر: {أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه

---

(١) البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).

موج من فوقه سحاب} الآية [النور: ٤٠] . وفي الصحيحين[١] عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ (٤) الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبَ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَرَعَوْا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ طَائِفَةً مِنْهَا [أُخْرَى] (٥) إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كلأ فذلك مثل من فَقه فِي دِينِ اللهِ ونَفَعه اللهُ بِمَا بَعَثَنِي (١) وَنَفَعَ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

فهذا مثل مائي، وقال في الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد[٢]:

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي يَقَعْنَ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يحجزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا». قَالَ: "فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذُ بحُجزكم عَنِ النَّارِ، هَلُمّ عَنِ النَّارِ [هَلُمّ عَنِ النَّارِ، هَلُمّ] (٥) فَتَغْلِبُونِي فَتَقْتَحِمُونَ فِيهَا". وأخرجاه في الصحيحين أيضا فهذا مثل ناري.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: المطر ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾ وهي جمع وادٍ، وهو كل منفرَج بين جبلين يجتمع إليه ماء المطر فيسيل ﴿بِقَدَرِهَا﴾ أي: بمبلغ ما تحمل، فإن صَغُر الوادي، قلَّ الماء، وإن هو اتسع، كَثُر.

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) أحمد (٢/ ٣١٢)، والبخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (٢٢٨٣) وغيرهم.

وقوله: «فسالت أودية» توسُّع في الكلام، والمعنى: سالت مياهها، فحُذف المضاف، وكذلك قوله: «بقدَرِها» أي: بقدر مياهها. ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ﴾ أي: عاليًا فوق الماء، فهذا مثل ضربه الله ﷻ. ثم ضرب مثلًا آخر، فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾.

ويعني بقوله ﴿ومما توقدون عليه﴾ ما يدخل إلى النار فيُذاب من الجواهر ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾ يعني: الذهب والفضة ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ يعني: الحديد والصُّفْر والنحاس والرصاص تُتخذ منه الأواني والأشياء التي يُنتفع بها، ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ أي: له زَبَد إذا أُذيب مثل زَبَد السَّيل، فهذا مثل آخر.

وفيما ضُرب له هذان المثلان ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه القرآن، شُبِّه نزوله من السماء بالماء، وشُبِّه قلوبُ العِباد بالأودية تحمل منه على قدر اليقين والشك، والعقل والجهل، فيستكنّ فيها، فينتفع المؤمن بما في قلبه كانتفاع الأرض التي يستقر فيها المطر، ولا ينتفع الكافر بالقرآن لمكان شَكِّه وكفره، فيكون ما حصل عنده من القرآن كالزبَد وكخبَث الحديد لا يُنتفع به.

والثاني: أنه الحق والباطل، فالحق شُبِّه بالماء الباقي الصافي، والباطل مشبَّه بالزَّبد الذاهب، فهو وإن علا على الماء فانه سيمَّحِق، كذلك الباطل، وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال، فإن الله سيُبطله.

والثالث: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فمثَل المؤمن واعتقاده وعمله كالماء المنتفَع به، ومثَل الكافر واعتقاده وعمله كالزبَد.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما ذُكر هذا، يضرب الله مَثل الحق والباطل. وقال أبو عبيدة: كذلك يمثِّل الله الحق ويمثِّل الباطل.

Mostafabdo.com

فأما الجُفاء، فقال ابن قتيبة: هو ما رمى به الوادي إلى جنَباته، يقال: أجفأتِ القِدرُ بزَبَدها: إذا ألقته عنها. قال ابن فارس: الجُفاء: ما نفاه السيل، ومنه اشتقاق الجَفاء. وقال ابن الأنباري: «جُفاءً» أي: باليًا متفرقًا. قال ابن عباس: إذا مُسَّ الزَّبَد لم يكن شيئًا.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء والجواهر التي زال زَبَدها ﴿فيمكث في الأرض﴾ فيُنتفع به ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يبقى الحق لأهله.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

شبّه تعالى الهدى الذي أنزله على رسوله لحياة القلوب والأرواح، بالماء الذي أنزله لحياة الأشباح، وشبّه ما في الهدى من النفع العام الكثير الذي يضطر إليه العباد، بما في المطر من النفع العام الضروري، وشبه القلوب الحاملة للهدى وتفاوتها بالأودية التي تسيل فيها السيول، فواد كبير يسع ماء كثيرا، كقلب كبير يسع علما كثيرا، وواد صغير يأخذ ماء قليلا كقلب صغير، يسع علما قليلا وهكذا.

وشبه ما يكون في القلوب من الشهوات والشبهات عند وصول الحق إليها، بالزبد الذي يعلو الماء ويعلو ما يوقد عليه النار من الحلية التي يراد تخليصها وسبكها، وأنها لا تزال فوق الماء طافية مكدرة له حتى تذهب وتضمحل، ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصافي والحلية الخالصة.

كذلك الشبهات والشهوات لا يزال القلب يكرهها، ويجاهدها بالبراهين الصادقة، والإرادات الجازمة، حتى تذهب وتضمحل ويبقى القلب خالصا صافيا ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة فيه، فالباطل يذهب ويمحقه الحق {إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} وقال هنا: {كَذَلِكَ

يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ} ليتضح الحق من الباطل والهدى والضلال.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما تتأتى مواطن يُقال فيها: ﴿﴾ اذكر بعض تلك المواطن التي هي محل لهذا القول؟.

ج: من ذلك إذا عمل شخص عملًا يبتغى به وجه الله، وعمل آخر عملًا يُرائي فيه.

ومن ذلك إذ قال شخص قولًا يبتغي به وجه الله، وقال آخر قولًا يُجامل فيه.

ومن ذلك من عبد مع الله إلهًا آخر فتذهب عبادته سدى، ومن عبد الله وحده فإن ذلك نافعه.

❁ ❁ ❁

الجنة للمتقين والنار للغاوين

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: للذين أجابوا داعي الله فآمنوا واستقاموا على أمر الله ﷻ، لهؤلاء الجنة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة، أما الذين جحدوا وكفروا وأعرضوا عن داعي الله، وعن أوامر الله ورفضوها، فأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، فهؤلاء لو أن لهم يوم القيامة كل ما في الأرض من مالٍ ومتاع وغير ذلك، ومثله معه أيضًا لقدّموه فدية يفتدوا به من عذاب الله، ولن يقبل ذلك منهم أيضًا إذا فعلوه فإن الله قال: ﴿﴾، فهؤلاء الذين أشركوا

MOSTAFA-ABU.COM

لهم يوم القيامة سوء الحساب، المتمثل في الشدة عند الحساب والتقريع والتوبيخ، والمتمثل في عدم التجاوز عن أي سيئة من سيئاتهم، وكذا المتمثل في إحباط حسناتهم بسبب شركهم بالله ثم إن مصيرهم الذي يصيرون إليه وفراشهم الذي تمتهدونه هو جهنم والنار والعياذ بالله.

فبئس المصير الذي يصيرون إليه وبئس المهاد الذي يمتهدونه.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: أما الذين استجابوا لله فآمنوا به حين دعاهم إلى الإيمان به، وأطاعوه فاتبعوا رسوله وصدّقوه فيما جاءهم به من عند الله، (١) = فإن لهم الحسنى، وهي الجنة.

وقوله: (والذين لم يستجيبوا له لو أنّ لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به) ، يقول تعالى ذكره: وأما الذين لم يستجيبوا لله حين دعاهم إلى توحيده والإقرار بربوبيته، (٣) ولم يطيعوه فيما أمرهم به، ولم يتبعوا رسوله فيصدقوه فيما جاءهم به من عند ربهم، فلو أن لهم ما في الأرض جميعًا من شيء ومثله معه ملكًا لهم، ثم قُبِل مثل ذلك منهم، وقبل منهم بدلا من العذاب الذي أعدّه الله لهم في نار جهنم وعوضًا، (٤) لافتدوا به أنفسهم منه، يقول الله: (أولئك لهم سوء الحساب) ، يقول: هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله لهم سوء الحساب: يقول: لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها، فلا يغفر لهم منها شيئا، ولكن يعذبهم على جميعها.

وقوله: (ومأواهم جهنم) يقول: ومسكنهم الذي يسكنونه يوم القيامة جهنم، ((وبئس المهاد)) ، يقول: وبئس الفراش والوطاءُ جهنمُ التي هي مأواهم يوم القيامة.

Nostrahadiw.com

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن مآل السعداء والأشقياء فقال: {للذين استجابوا لربهم} أي: أطاعوا الله ورسوله، وانقادوا لأوامره، وصدقوا أخباره الماضية والآتية، فلهم {الحسنى} وهو الجزاء الحسن (٧) كما قال تعالى مخبرا عن ذي القرنين أنه قال: {قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا} [الكهف: ٨٧، ٨٨] وقال تعالى: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} [يونس: ٢٦].

وقوله: {والذين لم يستجيبوا له} أي لم: يطيعوا الله {لو أن لهم ما في الأرض جميعا} أي: في الدار الآخرة، لو أن يمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهبا ومثله معه لافتدوا به، ولكن لا يتقبل منهم؛ لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا {أولئك لهم سوء الحساب} أي: في الدار الآخرة، أي: يناقشون على النقير والقطمير، والجليل والحقير، «**وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ**»[1]؛ ولهذا قال: {ومأواهم جهنم وبئس المهاد}

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

وفي الحُسنى ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الجنة، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنها الحياة والرزق، قاله مجاهد. والثالث: كل خير من الجنة فما دونها، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَافْتَدَوْا بِهِۦٓ﴾ اي: لجعلوه فداء أنفسهم من العذاب، ولا يُقبل منهم. وفي سوء الحساب ثلاثة أقوال:

---

(١) البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦).

MostafaBadr.com

أحدها: أنها المناقشة بالأعمال، رواه ابو الجوزاء عن ابن عباس. وقال النخعي: هو أن يحاسَب بذنبه كله، فلا يُغفر له منه شيء.

والثاني: أن لا تُقبل منهم حسنة، ولا يُتجاوز لهم عن سيئة.

والثالث: أنه التوبيخ والتقريع عند الحساب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال: (للذين استجابوا لربهم) أي أجابوا، واستجاب بمعنى أجاب، قال:

فلم يستجبه عند ذاك مجيب

أي أجاب إلى ما دعاه الله من التوحيد والنبوات. (الحسنى) لأنها في نهاية الحسن. وقيل: من الحسنى النصر في الدنيا، والنعيم المقيم غدا. (والذين لم يستجيبوا له) أي لم يجيبوا إلى الإيمان به. (لو أن لهم ما في الأرض جميعا) أي من الأموال. (ومثله معه) ملك لهم. (لافتدوا به) من عذاب يوم القيامة، نظيره في" آل عمران"" إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا" «١» [آل عمران: ١٠] ،" إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به" [آل عمران: ٩١] حسب ما تقدم بيانه هناك. (أولئك لهم سوء الحساب) أي لا يقبل لهم حسنة، ولا يتجاوز لهم عن سيئة. وقال فرقد السبخي «٢» قال [لي] «٣» إبراهيم النخعي: يا فرقد! أتدري ما سوء الحساب؟ قلت لا! قال أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يفقد منه شي. (ومأواهم) أي مسكنهم ومقامهم. (جهنم وبئس المهاد) أي الفراش الذي مهدوا لأنفسهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما بيّن تعالى الحق من الباطل ذكر أن الناس على قسمين: مستجيب

MOSTAFAADAWY.COM

لربه، فذكر ثوابه، وغير مستجيب فذكر عقابه فقال: {لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ} أي: انقادت قلوبهم للعلم والإيمان وجوارحهم للأمر والنهي، وصاروا موافقين لربهم فيما يريده منهم، فلهم {الْحُسْنَى} أي: الحالة الحسنة والثواب الحسن.

فلهم من الصفات أجلها ومن المناقب أفضلها ومن الثواب العاجل والآجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، {وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ} بعد ما ضرب لهم الأمثال وبين لهم الحق، لهم الحالة غير الحسنة، فـ {لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا} من ذهب وفضة وغيرها، {وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ} من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم وأنى لهم ذلك؟!!

{أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ} وهو الحساب الذي يأتي على كل ما أسلفوه من عمل سيئ وما ضيعوه من حقوق الله وحقوق عباده قد كتب ذلك وسطر عليهم وقالوا: {يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا} {و} بعد هذا الحساب السيئ {مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} الجامعة لكل عذاب، من الجوع الشديد، والعطش الوجيع، والنار الحامية والزقوم والزمهرير، والضريع وجميع ما ذكره الله من أصناف العذاب {وَبِئْسَ الْمِهَادُ} أي: المقر والمسكن مسكنهم.

❁ ❁ ❁

مثلٌ مضروب للمؤمن والكافر

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾.

ج: هذا – والله أعلم –: بيان لكون المسلم لا يستوي مع الكافر، والصالح

Mostafa Adly.com

لا يستوي مع الطالح، فيقول تعالى: ﴿﴾ يا رسول الله أن القرآن الذي أُنزل عليك إنما الذي أنزله هو الله ﷻ، نزل من عند الله حقًّا وكل ما فيه حق، فآمن بذلك وأقر واتبع ذلك وامتثل، أهذا يستوي مع أعمى البصيرة الذي جحد القرآن وكذَّب به، وقال - لكونه أعمى البصيرة- إن هذا القرآن ليس من عند أهذا يستوي مع ذاك، كلا، إنما يتعظ بالقرآن ويتذكر به ويستفيد منه أصحاب العقول النيِّرة الرشيدة، وللآية نظائر كقوله تعالى: ﴿﴾، وكقوله تعالى: ﴿﴾، وكقوله تعالى: ﴿﴾.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: أهذا الذي يعلم أنّ الذي أنزله الله عليك، يا محمد، حق فيؤمن به ويصدق ويعمل بما فيه، كالذي هو أعمى فلا يعرف موقع حُجَة الله عليه به ولا يعلم ما ألزمه الله من فَرَائضه؟

وقوله: (إنما يتذكر أولوا الألباب) يقول: إنما يتعظ بآيات الله ويعتبر بها ذوو العقول، (١) وهي "الألباب" واحدها "لُبٌّ". (٢)

وقال ابن كثير رحمه الله:

لا يستوي من يعلم من الناس أن الذي {أنزل إليك} يا محمد {من ربك} هو {الحق} أي: الذي لا شك فيه ولا مرية ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه، بل هو كله (١) حق يصدق بعضه بعضا، لا يضاد شيء منه شيئا آخر، فأخباره كلها حق، وأوامره ونواهيه عدل، كما قال تعالى: {وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا} [الأنعام: ١١٥] أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الطلب، فلا يستوي من تحقق صدق (٢) ما جئت به يا محمد، ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه، ولو فهمه ما انقاد له، ولا صدقه ولا اتبعه، كما قال تعالى: {لا

MOSTAFAALBAYK.COM

يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون} [الحشر: ٢٠] وقال في هذه الآية الكريمة: {أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى} أي: أفهذا كهذا؟ لا استواء. (٣)

وقوله: {إنما يتذكر أولو الألباب} أي: إنما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة الصحيحة (٤) جعلنا الله منهم.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: مفرقا بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ} ففهم ذلك وعمل به. {كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} لا يعلم الحق ولا يعمل به فبينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، فحقيق بالعبد أن يتذكر ويتفكر أي الفريقين أحسن حالا وخير مآلا فيؤثر طريقها ويسلك خلف فريقها، ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه ويضره.

{إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} أي: أولو العقول الرزينة، والآراء الكاملة، الذين هم لُبّ العالم، وصفوة بني آدم.

❁ ❁ ❁

صفات أولي الألباب

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾.

ج: هذه بعض صفات أولي الألباب، أصحاب العقول النيِّرة الرشيدة

ALMOSTAFA.COM

الذين أيقنوا أن هذا القرآن من عند الله ﷻ.

فإنهم يوفون بعهد الله، وهذا يشمل كل العهود التي أخذها الله عليهم على ألسنة رسله، والتي أخذها عليهم في كتبه المنزلة على رسله عليهم صلوات الله وسلامه، وكذا العهد الذي أخذه عليهم وهم في صلب آدم عليه السلام ألا يشركوا بالله شيئًا، وكذا كل العهود التي عاهدوا عليها خلق الله ﷻ، وكذا الأيمان والنذور وغير ذلك، ولا ينقضون هذه العهود، وخاصة تلك العهود المؤكدة بالأيمان، فالميثاق كثيرًا ما يطلق على العهد المؤكد باليمين.

وكذا فإن من صفات أولي الألباب أنهم يصلون ما أمره الله به أن يوصل، ومن ذلك وصل الأرحام، ومن ذلك وصل الإيمان بالأنبياء كلهم، ومن ذلك وصل الأخوة الإسلامية، وعمومًا كل ما أمر الله به أن يُوصل فإنهم يصلونه، ومع وصلهم الأرحام، ومع وفائهم بالعهود والمواثيق، فإنهم يخشون عقاب الله ﷻ، شأنهم في ذلك شأن أهل الإيمان يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنهم إلى ربهم راجعون.

أما سوء الحساب فقد تقدم ذكره قريبًا، ومنه المؤاخذة بكل الذنوب وعدم التجاوز عن شيء منها، ومنها: التقريع والتوبيخ عند الحساب، ومنها: عدم قبول الحسنات وإحباطها بسبب أي عملٍ عملوه، أو أي قولٍ قالوه.

ومع ما ذكر فإنهم صبروا، صبروا على ما أصابهم من المصيبة، صبروا على أقدار الله ﷻ، وصبروا عن المحرمات فلم يفعلوها، وصبروا على الطاعات فامتثلوا وسمعوا وأطاعوا.

صبروا على حماقات الناس، وعلى جهالات الناس، فأعرضوا عن الجاهلين وعن المسيئين، صبروا لا يُقال عنهم صبروا، صبورا لكن ليس

MOSTAFAADEL.COM

صبرهم خوفًا على صحتهم، إنما صبروا ابتغاء وجه الله، ورجاء ثواب الله، وخشية لقاء الله.

صبروا وحافظوا على الصلاة بأركانها وفرائضها ووجباتها وأدوها في أوقاتها.

وأنفقوا كذلك فيما يرضي الله ﷻ سرًّا وجهرًا فأخرجوا زكاة الأموال، وأتبعوا ذلك بالنفل والصدقات، إذا تيسر لهم الإسرار بالصدقات وإخفائها فعلوا ذلك، وإلا تصدقوا جهرًا لترغيب غيرهم في الصدقة والإنفاق؛ ولأن مناسبة إخراج المال ستفوتهم، ففقهوا ذلك، فقهوا متى يتصدقون سرًّا ومتى يتصدقون جهرًا فتصدقوا جهرًا إذا رأوا المقامات تحتاج إلى ذلك، وتصدقوا سرًّا سترًا على الفقراء وأهل التعفف، وكذا فإنهم قابلوا إساءات العباد بإحسان فدفعوا بالحسنة السيئة، فإذا سبَّهم أحدٌ قابلوه بقولهم عفا الله عنك، رحمك الله - تجاوز الله عنك غفر الله لك- يُعطون من منعهم ويصلون من قطعهم ويعفون عمن ظلمهم.

ثم في أنفسهم إن اصابوا سيئة اتبعوها بفعل حسنة، إن أساءوا استغفروا وأنابوا، وإن أخطأوا في حق أحد تحللوا منه وطلبوا عفوه.

شأنهم الامتثال لله كما قال تعالى: ﴿﴾، وكما قال: ﴿﴾ أولئك المتصفون بهذه الصفات لهم العاقبة الحسنة في الدار الآخرة، وهي الجنة التي وصفها الله بقوله هاهنا: جنات عدن، بساتين وحدائق يقيمون فيها لا يخرجون منها فـ﴿عدن﴾ إقامة، وقيل: اسمف لجنة من الجنات يدخلونها، ومعهم من آمن وأصلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فينعمون في هذه الجنات ويتنعمون، وكما قال تعالى: ﴿﴾ مُهنئين لهم قائلين سلام عليكم بما صبرتم فنعم العاقبة

الحسنة في هذه الدار الآخرة، ألا وهي الجنة. جعلنا الله من أهلها.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إنما يتعظ ويعتبر بآيات الله أولو الألباب، الذين يوفون بوصية الله التي أوصاهم بها (١) (ولا ينقضون الميثاق) ، ولا يخالفون العهد الذي عاهدوا الله عليه إلى خلافه، فيعملوا بغير ما أمرهم به، ويخالفوا إلى ما نهى عنه.

وقوله: (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) ، يقول تعالى ذكره: والذين يصلون الرَّحم التي أمرهم الله بوصلها فلا يقطعونها (١) = (ويخشون ربهم) ، يقول: ويخافون الله في قطْعها أن يقطعوها، فيعاقبهم على قطعها وعلى خلافهم أمرَه فيها.

وقوله: (ويخافون سوء الحساب) ، يقول: ويحذرون مناقشة الله إياهم في الحساب، ثم لا يصفح لهم عن ذنب، فهم لرهبتهم ذلك جادُّون في طاعته، محافظون على حدوده.

يقول تعالى ذكره: والذين صبروا على الوفاء بعهد الله، وترك نقض الميثاق وصلة الرحم= (ابتغاء وجه ربهم) ، ويعني بقوله: (ابتغاء وجه ربهم) ، طلب تعظيم الله، وتنزيهًا له أن يُخالَفَ في أمره أو يأتي أمرًا كره إتيانه فيعصيه به= (وأقاموا الصلاة) ، يقول: وأدُّوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها= (وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية) يقول: وأدَّوا من أموالهم زكاتها المفروضة وأنفقوا منها في السبل التي أمرهم الله بالنفقة فيها= (سرًّا) في خفاء"وعلانية" في الظاهر.

Nostrapalabra.com

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: "الصبر"، الإقامة. قال، وقال"الصبر" في هاتين، فصبرٌ لله على ما أحبَّ وإن ثقل على الأنفس والأبدان، وصبرٌ عمَّا يكره وإن نازعت إليه الأهواء. فمن كان هكذا فهو من الصابرين. وقرأ: (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) [سورة الرعد:٢٤].

وقوله: (ويدرءون بالحسنة السيئة) ، يقول: ويدفعون إساءة من أساء إليهم من الناس، بالإحسان إليهم. كما:-

حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: (ويدرءون بالحسنة السيئة) ، قال: يدفعون الشر بالخير، لا يكافئون الشرّ بالشر، ولكن يدفعونه بالخير.

وقوله: (أولئك لهم عقبى الدار) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا صفتهم، هم الذين (لهم عقبى الدار) ، يقول: هم الذين أعقبهم الله دارَ الجنان، من دارهم التي لو لم يكونوا مؤمنين كانت لهم في النار، فأعقبهم الله من تلك هذه. (٢)

وقد قيل: معنى ذلك: أولئك الذين لهم عقِيبَ طاعتهم ربَّهم في الدنيا، دارُ الجنان.

يقول (جنات عدن) ، ترجمة عن (عقبى الدار) (١) كما يقال:"نعم الرجل عبد الله"، فعبد الله هو الرجل المقول له:"نعم الرجل"، وتأويل الكلام: أولئك لهم عَقِيبَ طاعتهم ربِّهم الدارُ التي هي جَنَّات عدْنٍ.

وقد بينا معنى قوله: (عدن) ، وأنه بمعنى الإقامة التي لا ظَعْنَ معها. (٢)

وقوله: (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) ، يقول تعالى ذكره: جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وصف صفتهم= وهم الذين يوفون بعهد الله،

MOSTAFAADWY.COM

والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم، وأقاموا الصلاة، وفعلوا الأفعال التي ذكرها جل ثناؤه في هذه الآيات الثلاث= (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم) ، وهي نساؤهم وأهلوهم= و"ذرّيّاتهم". (٣) . و"صلاحهم" إيمانهم بالله واتباعهم أمره وأمر رسوله عليه السلام.

وقوله: (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم) ، يقول: تعالى ذكره: وتدخل الملائكة على هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه الآيات الثلاث في جنات عدن، من كل باب منها، يقولون لهم: (سلام عليكم بما صبرتم) على طاعة ربكم في الدنيا= (فنعم عقبى الدار) .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبرا عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة، بأن لهم {عقبى الدار} وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

{الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق} وليسوا كالمنافقين الذين «**إذا عاهد أحدهم غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان**»(١).

{والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل} من صلة الأرحام، والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمحاويج، وبذل المعروف، {ويخشون ربهم} أي: فيما يأتون وما يذرون من الأعمال، يراقبون الله في ذلك، ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة. فلهذا أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية.

{والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم} أي: عن المحارم والمآثم، ففطموا (٦)

(١) البخاري (حديث ٣٤)، ومسلم (٥٨).

Mostafa Adly.com

نفوسهم عن ذلك لله عز وجل؛ ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه {وأقاموا الصلاة} بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها (١) وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي، {وأنفقوا مما رزقناهم} أي: على الذين يجب عليهم الإنفاق لهم من زوجات وقرابات وأجانب، من فقراء ومحاويج ومساكين، {سرا وعلانية} أي: في السر والجهر، لم يمنعهم من ذلك حال من الأحوال، في آناء الليل وأطراف النهار، {ويدرءون بالحسنة السيئة} أي: يدفعون القبيح بالحسن، فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبرا واحتمالا وصفحا وعفوا، كما قال تعالى: {ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم} [فصلت: ٣٤، ٣٥] ؛ ولهذا قال مخبرا عن هؤلاء السعداء المتصفين بهذه الصفات الحسنة بأن لهم عقبى الدار، ثم فسر ذلك بقوله: {جنات عدن} والعدن: الإقامة، أي: جنات إقامة يخلدون (٢) فيها.

وقوله: {ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم} أي: يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين؛ لتقر أعينهم بهم، حتى إنه (٤) ترفع (٥) درجة الأدنى إلى درجة الأعلى، من غير تنقيص لذلك الأعلى عن درجته، بل امتنانا من الله وإحسانا، كما قال تعالى: {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين} [الطور: ٢١] . (٦) (٧)

وقوله: {والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار} أي: وتدخل عليهم الملائكة من هاهنا وهاهنا للتهنئة

بدخول الجنة، فعند (٨) دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام، والإقامة في دار السلام، في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

{الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ} الذي عهده إليهم والذي عاهدهم عليه من القيام بحقوقه كاملة موفرة، فالوفاء بها توفيتها حقها من التتميم لها، والنصح فيها {و} من تمام الوفاء بها أنهم {لا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ} أي: العهد الذي عاهدوا عليه الله، فدخل في ذلك جميع المواثيق والعهود والأيمان والنذور، التي يعقدها العباد. فلا يكون العبد من أولي الألباب الذين لهم الثواب العظيم، إلا بأدائها كاملة، وعدم نقضها وبخسها.

{وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} وهذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان به وبرسوله، ومحبته ومحبة رسوله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله.

ويصلون آباءهم وأمهاتهم ببرهم بالقول والفعل وعدم عقوقهم، ويصلون الأقارب والأرحام، بالإحسان إليهم قولا وفعلا ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك، بأداء حقهم كاملا موفرا من الحقوق الدينية والدنيوية.

والسبب الذي يجعل العبد واصلا ما أمر الله به أن يوصل، خشية الله وخوف يوم الحساب، ولهذا قال: {وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} أي: يخافونه، فيمنعهم خوفهم منه، ومن القدوم عليه يوم الحساب، أن يتجرؤوا على معاصي الله، أو يقصروا في شيء مما أمر الله به خوفا من العقاب ورجاء للثواب.

MOSTAFAADAWY.COM

{وَالَّذِينَ صَبَرُوا} على المأمورات بالامتثال، وعن المنهيات بالانكفاف عنها والبعد منها، وعلى أقدار الله المؤلمة بعدم تسخطها.

ولكن بشرط أن يكون ذلك الصبر {ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ} لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، فإن هذا هو الصبر النافع الذي يحبس به العبد نفسه، طلبا لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة.

{وَأَقَامُوا الصَّلاةَ} بأركانها وشروطها ومكملاتها ظاهرا وباطنا، {وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً} دخل في ذلك النفقات الواجبة كالزكوات والكفارات والنفقات المستحبة وأنهم ينفقون حيث دعت الحاجة إلى النفقة، سرا وعلانية، {وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ} أي: من أساء إليهم بقول أو فعل، لم يقابلوه بفعله، بل قابلوه بالإحسان إليه.

فيعطون من حرمهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويصلون من قطعهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، وإذا كانوا يقابلون المسيء بالإحسان، فما ظنك بغير المسيء؟!

{أُولَئِكَ} الذين وصفت صفاتهم الجليلة ومناقبهم الجميلة {لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} فسرها بقوله: {جَنَّاتِ عَدْنٍ} أي: إقامة لا يزولون عنها، ولا يبغون عنها حولا؛ لأنهم لا يرون فوقها غاية لما اشتملت عليه من النعيم والسرور، الذي تنتهي إليه المطالب والغايات.

ومن تمام نعيمهم وقرة أعينهم أنهم {يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ} من

الذكور والإناث {وَأَزْوَاجِهِمْ} أي الزوج أو الزوجة وكذلك النظراء والأشباه، والأصحاب والأحباب، فإنهم من أزواجهم وذرياتهم، {وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ} يهنئونهم بالسلامة وكرامة الله لهم ويقولون: {سَلامٌ عَلَيْكُمْ} أي: حلت عليكم السلامة والتحية من الله وحصلت لكم، وذلك متضمن لزوال كل مكروه، ومستلزم لحصول كل محبوب.

{بِمَا صَبَرْتُمْ} أي: صبركم هو الذي أوصلكم إلى هذه المنازل العالية، والجنان الغالية، {فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}

فحقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة، أن يجاهدها، لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب، لعلها تحظى بهذه الدار، التي هي منية النفوس، وسرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات والأفراح، فلمثلها فليعمل العاملون وفيها فليتنافس المتنافسون.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي رواه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ وَخِيرَتُكَ من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء ونسلم عليهم؟ فيقول: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ

وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً- قَالَ-: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»[1].

ج: هذا الحديث ورد من طريقين يصح سندهما عن ابي عشانة عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ فسنده صحيح.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

(١) رواه أحمد (٢/ ١٦٨)، وعبد بن حميد (٣٥٢)، وغيرهم.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ
أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ
يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ
قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ
أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ
قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ

Mostafalaw.com

كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ [الرعد: ٢٥-٣٤]

MOSTAFAALADWY.COM

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱللَّعۡنَةُ – سُوٓءُ ٱلدَّارِ – يَبۡسُطُ – وَيَقۡدِرُ – مَتَٰعٌ – ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ – يُضِلُّ – وَيَهۡدِيٓ – أَنَابَ – وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم – بِذِكۡرِ ٱللَّهِ – طُوبَىٰ لَهُمۡ – وَحُسۡنُ مَـَٔابٍ – خَلَتۡ – لِّتَتۡلُوَاْ – يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ – تَوَكَّلۡتُ – مَتَابِ – أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ – قَارِعَةٌ – وَعۡدُ ٱللَّهِ – فَأَمۡلَيۡتُ – أَخَذۡتُهُمۡ – قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ – سَمُّوهُمۡ – بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۭ – زُيِّنَ – مَكۡرُهُمۡ – وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ – وَاقٍ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱللَّعۡنَةُ﴾	الطرد من رحمة الله ﷻ والإبعاد عنها.
﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾	سوء المصير في الدار الآخرة، وهو النار.
﴿يَبۡسُطُ﴾	يوسع.
﴿وَيَقۡدِرُ﴾	يضيق.
﴿مَتَٰعٌ﴾	شيءٌ يُتمتع به ويزول.
﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾	معجزة من الله ﷻ.
﴿يُضِلُّ﴾	يصرف عن الحق والإيمان.
﴿وَيَهۡدِيٓ﴾	يوفق للحق والإيمان.
﴿أَنَابَ﴾	رجع بقلبه إلى ربِّه وعمل بما أمر وانتهى عما نُهي.
﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾	تسكن قلوبهم – تخشع قلوبهم – تأنس قلوبهم.

MOSTAFAALDIWY.COM

﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	بالقرآن وبالتهليل والتكبير والتحميد والتسبيح والاستغفار والصلاة والرضا بقضاء الله .....
﴿لِتَتْلُوَاْ﴾	لتقرأ.
﴿يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾	يجحدون وحدانية الله ﷻ وينكرون اسم الرحمن .
﴿تَوَكَّلْتُ﴾	اعتمدت.
﴿مَتَابِ﴾	توبتي ورجوعي طلبًا للمغفرة وقضاء الحوائج وسمعًا وطاعة لله وإنابة.
﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾	أفلم يعلم - أفلم يتبين.
﴿قَارِعَةٌ﴾	مصيبة تقرع آذانهم - بلاء من عند الله - سريَّةٌ أو غزوة منك تغزوهم فيسمعون خبرها، فتقرعهم وتفزعهم وتنزل بديارهم.
﴿وَعْدُ ٱللَّهِ﴾	وعد الله بالبعث يوم القيامة - وعد الله بالفتح فتح مكة.
﴿فَأَمْلَيْتُ﴾	فأخرت.
﴿أَخَذْتُهُمْ﴾	انتقمت منهم وأهلكتهم ورددتهم إلى بعد إهلاكهم لحسابهم يوم لاقيامة .
﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾	حفيظ على كل نفس يحفظ اعمالها ويراقبها ويكتب كسبها نوكذا يدبر أمرها..
﴿سَمُّوهُمْ﴾	اذكروا لنا من هم؟

MOSTAFAALAWI.COM

﴿بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾	بظاهر من القول يسمع ولا حقيقة له – بباطلٍ – بظنٍّ.
﴿زُيِّنَ﴾	حُسِّن.
﴿مَكْرُهُمْ﴾	كيدهم – شركهم – تآمرهم على الباطل.
﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾	صُرفوا عن طريق الحق والرشاد.
﴿وَاقٍ﴾	دافع يدفع عنهم العذاب ويقيهم العذاب.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAADWY.COM

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وبعد أن بيَّن الله ﷻ جزاء الطائعين أولي الألباب، وصفاتهم وأعمالهم، ذكر الله ﷻ مُحذِّرًا أحوال العصاة الطغاة الكفرة الظالمين وصفاتهم فقال: ﴿﴾ فينقضون العهود التي أخذها الله وهم في صلب أبيهم آدم ألا يشركوا بالله شيئًا، وينقضون العهود التي أخذها الله عليهم في كتبه وعلى ألسنة رسله وينقضون العهود التي أخذها عليهم الناس وأقسموا للناس على الوفاء بها، فالحاصل أنهم إن تسنى لهم نقضا لعهد نقضوه ولا يُبالون، وكذا فإنهم يقطعوهن الأرحام، ويؤمنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض ويقطعون الأخوة الإيمانية، ويقطعون القول عن العمل فلا يصلونه بالعمل، وهذا يتبعه إفساد في الأرض فإنهم يسعون في الأرض بالفساد فيعملون بمعصية الله ويشركون بالله ما لم ينزل به سلطانًا ويدعون الناس إلى الحرام، فأولئك لهم اللعنة، والطرد والإبعاد عن رحمة الله، ولهم العاقبة السيئة في الدار الآخرة وهي الجحيم والعياذ بالله.

وبنحو ذلك قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره وأما الذين ينقضون عهد الله، ونقضهم ذلك، خلافهم أمر الله، وعملهم بمعصيته (١) (من بعد ميثاقه) ، يقول: من بعد ما وثّقوا على أنفسهم لله أن يعملوا بما عهد إليهم (٢) = (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) ، (٣) يقول: ويقطعون الرحم التي أمرهم الله بوصلها= (ويفسدون في الأرض) ، فسادهم فيها: عملهم بمعاصي الله ((٤) أولئك لهم اللعنة) ، يقول:

MOSTAFABADR.COM

فهؤلاء لهم اللعنة، وهي البعد من رحمته، والإقصاء من جِنانه (٥) = (ولهم سوء الدار) يقول: ولهم ما يسوءهم في الدار الآخرة.

وأورد بسندٍ صحيح عن مصعب بن سعد (ابن أبي وقاص) قال: سألت أبي عن هذه الآية: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا) [سورة الكهف:١٠٣، ١٠٤] ، أهم الحرورية؟ قال: لا ولكن الحرورية[١] (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) ، فكان سعدٌ يسميهم الفاسقين.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا حال الأشقياء وصفاتهم، وذكر مآلهم في الدار الآخرة ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون، كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا، فأولئك كانوا يوفون بعهد الله ويصلون ما أمر الله به أن يوصل، وهؤلاء {ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض} كما ثبت في الحديث: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان" وفي رواية: "وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر".

ولهذا قال: {أولئك لهم اللعنة} وهي الإبعاد عن الرحمة، {ولهم سوء الدار} وهي سوء العاقبة والمآل، ومأواهم جهنم وبئس القرار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الموفين

---

(١) الحرورية هم الخوارج، قيل: عنهم الحرورية نسبة إلى بلدة كانوا يسكنونها يُقال لها: حروراء.

Nosrfarabiy.com

بعهده، والمواصلين لأمره، وذكر ما لهم ذكر عكسهم. نقض الميثاق: ترك أمره. وقيل: إهمال عقولهم، فلا يتدبرون بها ليعرفوا الله تعالى. (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) أي من الأرحام. والإيمان بجميع الأنبياء. (ويفسدون في الأرض) أي بالكفر وارتكاب المعاصي (أولئك لهم اللعنة) أي الطرد والإبعاد من الرحمة. (ولهم سوء الدار) أي سوء المنقلب، وهو جهنم. وقال سعد بن أبي وقاص: والله الذي لا إله إلا هو! إنهم الحرورية.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما ذكر حال أهل الجنة ذكر أن أهل النار بعكس ما وصفهم به، فقال عنهم: {والَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} أي: من بعد ما أكده عليهم على أيدي رسله، وغلظ عليهم، فلم يقابلوه بالانقياد والتسليم، بل قابلوه بالإعراض والنقص، {وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} فلم يصلوا ما بينهم وبين ربهم بالإيمان والعمل الصالح، ولا وصلوا الأرحام ولا أدوا الحقوق، بل أفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي، والصد عن سبيل الله وابتغائها عوجا، {أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ} أي: البعد والذم من الله وملائكته وعباده المؤمنين، {وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} وهي: الجحيم بما فيها من العذاب الأليم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: الله ﷻ هو الذي يوسع الرزق على من يشاء من عباده فيعطي من يشاء من العطاء والواسع ويضيق على من يشاء، وقد علم أهل الإيمان ذلك، أما أهلا لكفر والانكباب على الدنيا ففرحوا بمتاعها الزائل

Nosrafraby.com

فرحًا أنساهم لقاء الله ﷻ والاستعداد ليوم المعاد، ألا فليعلموا أن الحياة الدنيا وما فيها ما هي إلا متاع زائل، ومتاعٌ للمغرورين بها، يوشك أن تول عنهم ويزولوا عنها كما قال تعالى: ﴿﴾.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله يوسّع على من يَشاء من خلقه في رزقه، فيبسط له منه (١) لأن منهم من لا يُصْلحه إلا ذلك= (ويقدر) ، يقول: ويقتِّر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه، فيضيّقه عليه، لأنه لا يصلحه إلا الإقتار= (وفرحوا بالحياة الدنيا) ، يقول تعالى ذكره: وفرح هؤلاء الذين بُسِط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ومعصيتهم إياه بما بسط لهم فيها، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم.

ثم أخبر جلّ ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا فيما لأهل الإيمان به عنده في الآخرة وأعلم عباده قِلّته، فقال: (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) ، يقول: وما جميع ما أعطى هؤلاء في الدنيا من السَّعة وبُسِط لهم فيها من الرزق ورغد العيش، فيما عند الله لأهل طاعته في الآخرة= (إلا متاع) قليل، وشيء حقير ذاهب.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) لما ذكر عاقبة المؤمن وعاقبة المشرك بين أنه تعالى الذي يبسط الرزق ويقدر في الدنيا، لأنها دار امتحان، فبسط الرزق على الكافر لا يدل على كرامته، والتقتير على بعض المؤمنين لا يدل على إهانتهم." ويقدر" أي يضيق، ومنه" ومن قدر عليه

رزقه" «١» [الطلاق: ٧] أي ضيق. وقيل:" يقدر" يعطي بقدر الكفاية. (وفرحوا بالحياة الدنيا) يعني مشركي مكة، فرحوا بالدنيا ولم يعرفوا غيرها، وجهلوا ما عند الله، وهو معطوف على" ويفسدون في الأرض". وفي الآية تقديم وتأخير، التقدير: والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض وفرحوا بالحياة الدنيا. (وما الحياة الدنيا في الآخرة) أي في جنبها. (إلا متاع) أي متاع من الأمتعة، كالقصعة والسكرجة «٢». وقال مجاهد: شي قليل ذاهب، من متع النهار إذا ارتفع، فلا بد له من زوال. ابن عباس: زاد كزاد الراعي. وقيل: متاع الحياة الدنيا ما يستمتع بها منها. وقيل: ما يتزود منها إلى الآخرة، من التقوى والعمل الصالح،" ولهم سوء الدار" ثم ابتدأ." الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر" أي يوسع ويضيق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يذكر تعالى أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء، ويقتره على من يشاء، لما له في ذلك من الحكمة والعدل. وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا في الحياة الدنيا استدراجا لهم وإمهالا كما قال تعالى: {أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون} [المؤمنون: ٥٥، ٥٦].

ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما ادخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة فقال: {وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع} كما قال: {قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا} [النساء: ٧٧] وقال {بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى} [الأعلى: ١٦، ١٧].

MostafaLabiad.com

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ(١): حَدَّثَنَا وَكِيع وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالَا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ أَخِي بَنِي فِهْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَثَلِ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ**» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ(٢): أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِجَدْيٍ أسكَّ ميتٍ -وَالْأَسَكُّ الصَّغِيرُ الْأُذُنَيْنِ- فَقَالَ: «**وَاللهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَى أَهْلِهِ حِينَ أَلْقَوْهُ**».

وقال السعدي رحمه الله:

أي: هو وحده يوسع الرزق ويبسطه على من يشاء ويقدره ويضيقه على من يشاء، {وَفَرِحُوا} أي: الكفار {بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فرحا أوجب لهم أن يطمئنوا بها، ويغفلوا عن الآخرة وذلك لنقصان عقولهم، {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ} أي: شيء حقير يتمتع به قليلا ويفارق أهله وأصحابه ويعقبهم ويلا طويلا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: ويقول أهل الكفر على سبيل التعنت والعناد، والسخرية والاستهزاء لولا أنزل على رسول الله ﷺ معجزة من عند الله، كتلك المعجزات التي أيد الله بها أنبيائه الأولين، كسليمان سخرت له

(١) مسلم (٢٨٥٨)، وأحمد (٤/ ٢٢٨).

(٢) مسلم (٢٩٥٧).

MOSTAFABDW.COM

الريح، وداود سخرت له الجبال تسبح معه، وألان الله له الحديد، وكموسى وما جاء به من الآيات كالعصا واليد ونحو ذلك، وكعيسى عليه السلام إذ كان يحيي الموتى بإذن الله، وكناقة صالح وغير ذلك، فقل لهؤلاء الذين طلبوا ذلك إن هذه الآيات لن تنشئ إيمانًا، وإنما الذي يوفق للإيمان ويشرح له الصدور هو الله عز وجل، قل لهم إن الله يضل من يشاء أن يضله ويهدي إليه ويوفق ويرشد من سلك الطريق الموصلة إلى الله عز وجل، أما أنتم وأنتم قياسه على شرككم وكفركم وعنادكم، فأنتم بعيدون عن أسباب الهداية بذلك، والتوفيق منكم بعيد.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ويقول لك يا محمد، مشركو قومك: هلا أنزل عليك آية من ربك، إمّا ملك يكون معك نذيرًا، أو يُلْقَى إليك كنز؟ فقل: إن الله يضل منكم من يشاء أيها القوم، فيخذله عن تصديقي والإيمان بما جئته به من عند ربي= (ويَهدي إليه من أناب) ، فرجع إلى التوبة من كفره والإيمان به، فيوفقه لاتباعي وتصديقي على ما جئته به من عند ربه، وليس ضلالُ من يضلّ منكم بأن لم ينزل علي آية من ربّي ولا هداية من يهتدي منكم بأنّها أنزلت عليّ، وإنما ذلك بيَدِ الله، يوفّق من يشاء منكم للإيمان ويخذل من يشاء منكم فلا يؤمن.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن قيل (١) المشركين: {لولا} أي: هلا {أنزل عليه آية من ربه} كما قالوا: {فليأتنا بآية كما أرسل الأولون} [الأنبياء: ٥] وقد تقدم الكلام على هذا غير مرة، وإن الله قادر على إجابة ما سألوا. وفي الحديث: أن الله أوحى إلى رسوله لما سألوه أن يحول لهم الصفا ذهبا، وأن يجري لهم

MostafaBooks.com

ينبوعا، وأن يزيح الجبال من حول مكة فيصير مكانها مروج وبساتين: إن شئت يا محمد أعطيتهم ذلك، فإن كفروا فإني أعذبهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة، فقال: "بل تفتح لهم باب التوبة والرحمة" (٢) ؛ ولهذا قال لرسوله: {قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب} أي: هو المضل والهادي، سواء بعث الرسول بآية على وفق ما اقترحوا، أو لم يجبهم إلى سؤالهم؛ فإن الهداية والإضلال ليس منوطا بذلك ولا عدمه، كما قال: {وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون} [يونس: ١٠١] وقال {إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم} [يونس: ٩٦، ٩٧] وقال {ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون} [الأنعام: ١١١] ؛ ولهذا قال: {قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب} أي: ويهدي من أناب إلى الله، ورجع إليه، واستعان به، وتضرع لديه.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ} الآية، بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار اقترحوا عليه صلى الله عليه وسلم الإتيان بآية ينزلها عليه ربه، وبين هذ المعنى في مواضع متعددة، كقوله: {فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ} [٢١/ ٥]، إلى غير ذلك من الآيات، وبين تعالى في موضع آخر أن في القرآن العظيم كفاية عن جميع الآيات، في قوله: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ} [٢٩/ ٥١]، وبين في موضع آخر حكمة عدم إنزال آية كناقة صالح ونحوها، بقوله: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ

نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ} الآية [١٧/ ٥٩]، كما تقدمت الإشارة إليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: الذين آمنوا ومن شأنهم أن قلوبهم تهدأ وتسكن بذكر الله ﷻ، وتأنس به كذلك ألا فاعلموا أ، ذكر الله تطمئن به القلوب وتهدأ وتسكن وتلين، فهؤلاء الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، واتبعوا الإيمان بصالح الأعمال طوبى لهم، وقيل: إن طوبى هي الجنة، وقيل: شجرة فيها، وقيل: فرحٌ وسرورٌ وقرة أعين لهم، وكذا لهم عند الله ﷻ حسن مرجع وحسن مصير.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) ، يقول: وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله.

وقوله: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) ، يقول: ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوبُ المؤمنين.

وقيل: إنه عنى بذلك قلوب المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ، الصالحات من الأعمال، وذلك العمل بما أمرهم ربهم= (طوبى لهم) .

MOSTAFAALABY.COM

قال الطبري:

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (طوبى لهم) .

فقال بعضهم: معناه: نِعْم ما لهم.

وقال آخرون: معناه: غبطة لهم.

وقال آخرون: معناه: فرحٌ وقُرَّةُ عين.

وقال آخرون: معناه: حُسْنَى لهم.

وقال آخرون: معناه: خير لهم.

وقال آخرون: (طوبى لهم) ، اسم من أسماء الجنة، ومعنى الكلام، الجنة لهُم.

وقال آخرون: شجرة في الجنة، يُقال لها: طوبى.

وأورد بعض الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ

قال الطبري:

وأما قوله: (وحسن مآب) ، فإنه يقول: وحسن منقلب.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم ذكر تعالى علامة المؤمنين فقال: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ} أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها.

{أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} أي: حقيق بها وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك.

وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا

MOSTAFAALDWY.COM

معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام.

{ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} وهذا إنما يعرفه من خبر كتاب الله وتدبره، وتدبر غيره من أنواع العلوم، فإنه يجد بينها وبينه فرقا عظيما. ثم قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أي: آمنوا بقلوبهم بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وصدقوا هذا الإيمان بالأعمال الصالحة، أعمال القلوب كمحبة الله وخشيته ورجائه، وأعمال الجوارح كالصلاة ونحوها. {طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ} أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن.

وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وأن لهم كمال الراحة وتمام الطمأنينة، ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة، التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، كما وردت بها الأحاديث الصحيحة.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هذا بدل من قوله: ﴿أَنَابَ﴾، والمعنى: يهدي الذين آمنوا، ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ في هذا الذِّكر قولان:

أحدهما: أنه القرآن.

والثاني: ذِكر الله على الإطلاق.

وفي معنى هذه الطمأنينة قولان:

أحدهما: أنها الحُب له والأُنس به.

والثاني: السكون إِليه من غير شك، بخلاف الذين إِذا ذُكر الله اشمأزت قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال الزجاج: «ألا» حرف تنبيه وابتداء، والمعنى: تطمئن القلوب التي هي قلوب المؤمنين، لأن الكافر غير مطمئن القلب.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

مبحثٌ في المراد بذكر الله تطمئن به القلوب

س: ما المراد بذكر الله الذي تطمئن به القلوب؟

ج: لأهل العلم جملة أقوال في تأويل (الذكر) هاهنا، وكل هذه الأقوال حقٌّ، وكلها صدقٌ، فالذكر ينطبق عليها جميعًا وجميعها تنطبق عليه.

* فمن أهل العلم من قال: إن المراد بالذِّكر هنا القرآن

ولهذا القول أدلته وشواهده، فمن أدلته وشواهده:

* قوله تعالى: ﴿﴾ [الحجر: ٩]. فالذكر هنا القرآن.

* وكذا قوله تعالى: ﴿﴾ [فصلت: ٤١].

فالذكر هاهنا القرآن كذلك.

* وكذا قوله تعالى: ﴿﴾ [الأنبياء: ٥٠]، فالذكر أيضًا هاهنا القرآن.

* ومن أهل العلم من قال: إن المراد بالذِّكر هنا، ذكر الله المتمثل في تسبيحه، وتحميده، وتكبيره، وتهليله، وتمجيده، وذلك كقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكذا نحو قوله: ما شاء الله، وتبارك الله.

* ومنهم من قال: إن المراد بالذِّكر هاهنا الأذكار الموظفة: المختصة بالأزمنة والأمكنة والأحوال التي علمنا إياها رسولنا محمد ﷺ.

* كالذكر عند الغضب، وعند القلق، وعند الوضوء، وعند الجماع، وعند نزول المنازل، وسفر المسافر، ودخول الداخل، وخروج الخارج، ونحو ذلك، وهذا هو القول الثالث.

أما القول الرابع: فحاصله أن المراد بذكر الله، ذِكرُ قدرِ الله ﷻ، أي: تذكُّر أن الأمور مقدرة، قدرها الله ﷻ، ومناسبة هذا القول ووجهه أن الله قال: ﴿﴾

MostafaDvir.com

[التغابن: ١١].

قالوا: أي ومن يؤمن بقدر الله، ويوقن أن المصائب قدرها الله يهد قلبه.

* وأما القول الخامس: فالمراد بالذكر هو اليمين بالله أي الحلف بالله ﷻ.

* أما القول السادس: فالمراد بالذِّكر، ذكر الله داخل الصلاة، إذ الصلاة محلٌّ لذكر الله، قال تعالى: ﴿﴾ [طه: ١٤]، أي: لتذكرني فيها، وذلك على أحد التفسيرات، وتفسيرٌ آخر، وأقم الصلاة كي تحظى بذكري لك، فإنك إذا ذكرت الله في الصلاة ذكرك الله ﷻ، وكذا إذا ذكرته في خارج الصلاة.

* وقد قال تعالى: ﴿﴾ [المنافقون: ٩]. قال بعض العلماء: أي عن الصلاة.

* أما القول السابع: فالمراد بالذكر هاهنا، هو ذكر الله ﷻ باستغفاره، والتوبة والإنابة والرجوع إليه.

فهذا مجمل الأقوال التي وردت في المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿﴾ [الرعد: ٢٨].

أمَّا كيف تطمئن القلوب بالذكر على الوجوه المذكورة آنفًا؟

فها هي وجوه الطمأنينة بذلك:

أما على تأويل الذِّكر بالقرآن، فإن القرآن إذا تُلي وقرأه القارئ تنزلت السكينةُ، وغشيت القارئ الرحمةُ وحفته الملائكةُ، كما في حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه مسلم[1] وغيره من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**».

(١) مسلم (مع النووي: ١٧/ ٢١).

فإذا تنزلت الملائكة هربت الشياطين، فالشيطان لا يكاد يتواجد مع ملكٍ في مكان واحد.

ألا ترى أن الشيطان غرَّ أصحابه من أهل الكفر يوم بدر، وزين لهم أعمالهم، وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم فلما تراءت الفئتان (الفئة المؤمنة والفئة الكافرة) نكص على عقبيه وقال: إني بريءٌ منكم إني أرى ما لا ترون، فقد رأى الشيطان الملائكة، وعليهم أداة الحرب، إذ الملائكة قد شهدت بدرًا مع المؤمنين، فحينئذٍ فرَّ وهرب، وولى وأدبر، ونكص وانصرف.

وهكذا، فالقرآن إذا تُلي وتنزلت الملائكة هربت الشياطين، تلك الشياطين التي تسبب القلق، وتجلب الاضطراب وتدفع إلى المعاصي دفعًا، وتخوِّف الناس تخويفًا إذ الله قال: ﴿ ﴾ [مريم: ٨٣]. أي: تزعجهم إزعاجًا وتدفعهم إلى المعاصي دفعًا، فإذا انصرفت الشياطين حدث الهدوء، وتنزلت السكينة فاطمأنت القلوب، وهدأ البال.

* فهذا وجهٌ لطمأنينة القلوب بالقرآن الذي هو ذكر الله، ملخصه أن القرآن يُتلى فتتنزل الملائكة، فتهرب الشياطين فيحدث الهدوء، وتحدث السكينة.

ووجه آخر لطمأنينة القلوب بالقرين، أنه ما من صاحب ابتلاء، وما من أحدٍ حلَّت به مصيبة يقرأ كتاب الله، إلا ويجد لنفسه مشابهًا قد أصيب بمثل مصيبته، ويجد متعزِّي يتعزَّى به ومتسلي يتسلى فيه، فينظر لمن شابهه في مصيبته وبلائه فيرى أن العاقبة للتقوى، وأن العسر يتبعه - بإذن الله - يسرٌ، وأن الكرب يتبعه الفرج، فيهدأ بالُهُ ويستقر حاله، فإذا مرض المريض واشتد عليه المرض، واضطرب قلبُهُ لعجز الأطباء عن دوائه، ويأسهم من شفائه فقرا

MOSTAFABADR.COM

هذا المريض كتاب الله، وكذا نظر في سنة مصطفاه ﷺ، التي هي وحيٌ يُوحى، وجد له أمثالًا ونظراء عجز عن دوائهم الأطباء، ولكن ثم من لا يعجز، وثمَّ شافي لا شفاء إلا شفاؤه، فالله هو الذي يذهب البأس، لا يُذهبه أحدٌ سواه، والله هو الذي يكشف الضرَّ لا يكشفه أحد دونه ﴿﴾ [يونس: ١٠٧].

فحينئذٍ تطمئن النفس، ويذهب اليأس، فإذا قرأ القارئ المريض من كتاب ربه قصة نبي الله أيوب عليه السلام وكيف وأن الله شفاه بعد عجز الأطباء عن البحث له عن دواء اطمأن القلب وهدأ البال، وواصل المريض الدعاء، وتصبر كما أمره الله، ولم ينقطع في الله رجاه.

فأيوب قد جعله الله وقصته ذكرى للعابدين، ذكرى يتذكرها العباد فيصبرون كما صبر، فيؤجرون كما أُجر.

قال تعالى: ﴿﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

وقال تعالى: ﴿﴾ [ص: ٤١-٤٣].

وقال تعالى في شأن هذا النبي مثنيًا عليه: ﴿﴾ [ص: ٤٤]. فيا لها من ثلاث شهادات لو أُعطي الواحد منها شهادةً منها ما وسعته الدنيا، وما فيها، إنها ثلاث شهادات لهذا النبي الكريم من الله رب العالمين.

إنا وجدناه صابرًا!!

نعم العبد!!

إنه أواب!!

فيا لها من فضيلة، ويا لها من مكرة.

وانظر إلى قصته بشيء من التفصيل في حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه

MOSTAFALADY.COM

ابن حبان[١] بسندٍ صحيح لغيره من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللهِ لَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ وَاللهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ، فَيَكْشِفُ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَ إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللهَ، فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللهُ إِلَّا فِي حَقٍّ قَالَ: وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} [ص: ٤٢] فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَبَلَغَتْهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ فَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارِكَ اللهُ، فِيكَ هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ هَذَا الْمُبْتَلَى، وَاللهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ: أَنْدَرُ الْقَمْحِ، وَأَنْدَرُ الشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ، أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَتْ، وَأَفْرَغَتِ الْأُخْرَى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَتْ».

فهكذا لا ييأس أحدٌ من روح الله، فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

ولا يقنط أحدٌ من رحمة الله، ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون.

فلتطمئن قلوب المرضى ومن ضاقت بهم السبل، وانقطعت عنهم الحيل،

---

(١) ابن حبان (موارد الظمآن: ٢٠٩١).

فلتطمئن قلوبهم على رحمة الله، وعلى فرج الله، فالله يراهم ويبصرهم ويطلع على أحوالهم لا يخفى عليه من أمرهم شيءٌ.

وكذا الآلام والآهات كل ذلك يعلمه الله ويسمعه، ألا فلتطمئن القلوب بذكر الله.

وكذا أيضًا إذا تجاوزنا الابتلاء بالضرِّ في الأبدان إلى ابتلاء آخر قد يُبتلى به بعض العباد، ألا وهو الطعن في الأعراض، والتشكيك في الأمانات، إلى غير ذلك من الاتهامات الباطلة التي قد يُرمى بها أهل الفضل والصلاح فيرى المتهم البريء لنفسه شبهاء ونظراء، اتهموا وهم برآء فأظهر الله براءتهم في الدنيا قبل الآخرة فحينئذٍ تطمئن النفوس البريئة، وتطمئن قلوب أصحابها إلى فرج الله، وإلى نصر الله في الدنيا، وإلا ففي الآخرة - يقينًا- ينجي الله الذين اتقوا، ويُبرئ الله ساحات أهل الإيمان، والمظلومين من كل شائنةٍ وعيب وطعن.

هاهم أفاضل اتهموا وهم براء فأظهر الله براءتهم.

* اتهم يوسف عليه السلام وقالت امرأة العزيز لزوجها في شأن يوسف: ﴿﴾ [يوسف: ٢٥].

ثم برأه الله على لسانها بقولها بعد ذلك: ﴿﴾ [يوسف: ٥١، ٥٢].

* اتهمت مريم عليها السلام، وقالوا لها: ﴿﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨].

فبرأها الله على لسان الطفل الرضيع، ونطق عيسى عليه السلام في المهد قائلًا: ﴿﴾ [مريم: ٣٠-٣٣].

* اتهمت أم المؤمنين التقية الصالحة عائشة رضي الله عنها بما رماها به أهل الغفك فنزلت عليها آيات تتلى في الصلوات وخارج الصلوات: ﴿﴾ [النور: ١١-١٨]

MOSTAFAADEL.COM

الآيات.

* اتهم موسى ﷺ وآذاه قومه فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهًا، كما قال تعالى: ﴿﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وها هي القصة بذلك، أخرجها البخاري[١] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]».

فهذه بعض وجوه الطمأنينة بكتاب الله ﷻ:

* سكينةٌ تتنزل وملائكة تحفُّ، رحمةٌ تغشى، شياطين تفرُّ وتهرب.

* ثم تسلِّي وتاسي وتصبر.

فهذا هو القول الأول في المراد بالذكر، ألا وهو القرآن.

أما الوجه الثاني في تفسير الذكر: وقد أشرنا إليه آنفًا ألا وهو التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والتمجيد، ونحو ذلك، فكل ذلك يقوِّي الله به

(١) البخاري حديث (٣٤٠٤).

القلوب، ويطمئن الله به النفوس، ومن وجوه ذلك أن المسبِّح إذا سبَّح والحامد إذا حمد، وكذا المُكبر والمهلل إذا كبر وهلل وهربت الشياطين، وذلك لكونها تخنس عند ذكر الله ﷻ وتختفي، ويقلُّ عملها ويضعف، فحينئذٍ تتأتى للقلوب الطمأنينة وتتنزل عليها أيضًا السكينة وكيف لا؟! والذاكر يُذكره الله والذاكر يُثيبه الله، والذاكرُ يرفع الله درجته والذَّاكرُ في حصن حصين من الشيطان الرجيم!!

ثم أيضًا فإن الذاكر يُثاب بسبب الذِّكر فترتفع درجته وتحطُّ عنه خطيئته، تلك الخطيئة التي سببت للقلب اضطرابًا وقلقًا، فبمحو أثرها يسكن القلب ويطمئن، وهكذا تطمئن القلوب بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.

أما القول الثالث في تأويل الذكر: فهو - كما أسلفنا - الأذكار الموظفة التي علمنا إياها رسولنا محمد ﷺ، فبها تطمئن القلوب ووجه ذلك على سبيل المثال أن الشخص إذا نزل منزلًا مُوحشًا فخاف، ثم إنه ذكر حديث رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»(١) فذكر الله بهذا الذكر وتعوَّذ بهذا التعوذ اطمأن قلبه وهدأ باله، على قدر إيمانه ويقينه وتصديقه بحديث رسول الله ﷺ.

وكذلك الشخص الذي خوَّفه قومٌ فذكر ما قاله أهل الإيمان لما خوفهم الناس بقولهم: ﴿﴾، قال تعالى: ﴿﴾ [آل عمران: ١٧٣]. فماذا كان؟ قال تعالى: ﴿﴾ [آل عمران: ١٧٤].

---

(١) مسلم (مع النووي: ١٧/ ٣١).

MostafaBakr.com

ورد في «الصحيح»[١] من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، «قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣].

وكذا الذي قام من النوم عن إثر رؤيا مفزعة أرهقته وأرَّقته وخوَّفته، فقال وعمل بما علمه إياه رسول الله ﷺ وهي خمسة أمور تفعل عند الرؤيا المفزعة، أخذت من مجموعةٍ من الأحاديث وهذه هي الأمور:

* التعوذ بالله من شر هذا الحُلم.
* والتفل عن يسارك ثلاثًا.
* والتحول عن جنبك الذي كنت عليه.
* ثم صلاة ركعتين.
* وعدم التحديث بها.

فحينئذٍ لن يضره شيء بإذن الله تعالى.

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]: وَأَنَا كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ مِنَ اللهِ ....**»، فذكر الحديث وفيه: «**وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَلْيَتْفِلْ ثَلَاثًا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ**».

وكذا المسافر القلق على أولاده إذا خرج مسافرًا وخشي على أولاده من بعده فتوكل على الله وأخذ بالأسباب واستودعهم الله كما عُلم من سنة رسول

---

(١) البخاري حديث (٤٥٦٣).

(٢) البخاري (مع الفتح: ١٢/ ٤٣٠).

MOSTAFALADY.COM

الله ﷺ فليس بضاره شيئًا بإذن الله.

فهكذا تطمئن القلوب بالأذكار الموظفة التي نتعلمها من رسولنا محمد ﷺ.

أما القول الرابع في المراد بالذكر: فهو ذكرُ قدرِ الله ﷻ أي تذكُّر أن الأمور مقدرة فحينئذٍ تطمئن القلوب عند حلول المصائب، ونزول البلايا، بل وفي الرخاء أيضًا.

قال تعالى: ﴿﴾ [التغابن: ١١].

أي: ومن يؤمن بأن المصائب قدرها الله، وإنما حلَّت بالشخص بإذن الله، يهد الله قلبه ويطمئن الله قلبه.

وقال تعالى: ﴿﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

فمفاد الآية الكريمة أننا أخبرناكم، بأن الأمور مقدرة حتى لا تندموا على شيء فاتكم، ولا تبطروا ولا تغتروا بشيء آتاكم الله إياه.

فإذا خرج خارجٌ لتجارة وتأخر عن السوق ووجد الناس قد ربحوا وأخذوا أخذاتهم وربحوا أرباحهم، وعلم أن الأمر مقدرٌ وأن الرزق مكتوب قبل أن يخلق، بل قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنةٍ مكا قد جاء في الحديث، فحينئذٍ يطمئن قلبه ويهدأ باله ولا يندم على ما فاته.

وإذا خرج أخوه مسافرًا أو غازيًا فمات في سفره أو في غزوته وعلم أن أمر الوفاة ومكانها وزمانها مقدر مكتوب لم يندم على موت أخيه ولم يتحسر، بل يسترجع كما قال تعالى: ﴿﴾ [البقرة: ١٥٦]. وزاد ما ورد عن رسول الله ﷺ: «**اللهُمَّ أجرنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخلُفْ لِي خَيرًا مِنْهَا**»[(١)]، فحينئذٍ يهدأ باله ويستقر

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» حديث (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن

حاله وتتنزل عليه السكينة ويصلي عليه ربه ويرحمه ويهديه كما قال تعالى: ﴿ [البقرة: ١٥٧]، وما أحسن وما أجمل ما ذكرته أم سلمة لما مات زوجها أبو سلمة.

أخرج مسلم في «صحيحه» من حديث عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦]، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»[(١)].

قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ**».

أما الكافر -عياذًا بالله من الكفر- فييأس من الرحمة ويقنط من روح الله ولا يطمع في الفرج واليسر، بل في قلبه حسرات تتلوها حسرات ويضطرب قلبه اضطرابًا يتلوه اضطراب.

وكذا الذي قلَّ إيمانه وضعف يقينه فماذا عساه أن يفعل إذا حلَّت به المصيبة أو نزلت به البليةُ؟!!

فهذه امرأة كافرة، وأخرى قل إيمانها وضعف يقينها حلَّت بها مصيبة،

النبي ﷺ قال: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

(١) مسلم (ص: ٦٣١).

MostafaAbdy.com

ونزلت بها بلية فشقت الجيب ولطمت الخدَّ وحلقت الرأس واعترضت على الأقدار واضطرب قلبها فأصبحت تسب الأيام والشهور والليالي، وتصيح صياح المجانين، بل ويكون المجنون أفضل منها في حالتها تلك، فالمجنون مرفوع عنه التكليف، أما هي فتقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب كما جاء عن رسول الله ﷺ في شأن النائحة(١)، وقد تبرأ رسول الله ﷺ من الصالقة والحالقة والشاقة(٢).

وماذا عساها أن تجني بعد ذلك، إنها تجني ثمار اعتراضها على القدر: حسرات إلى حسرات، وخسارًا إلى خسارٍ، يتسرب إليها الندم الذي لا ينفع بشيء فتقول: يا ليته ما خرج من بيته، فتقع فيما يقع فيه الكفار الذين نهانا الله عن التشبه بهم حيث قال سبحانه: ﴿ ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

فهؤلاء الكفار إذا خرج إخوانهم مسافرين، أو خرجوا في غزوة من الغزوات فماتوا في أسفارهم، أو قتلوا في مغازيهم تسرب الندم إلى إخوانهم الجالسين الذين لم يخرجوا وقالوا: يا ليتهم ما سافروا وما خرجوا؛ فلو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا، وهذا الندم الذي تسرب إليهم إنما قذفه الله في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم، وعلى اعتراضهم على أقداره.

ثم بيَّن الله لأهل الإيمان أنه سبحانه هو الذي يحيي وهو الذي يميت، وهو عليم بما نقول، بصير بما نعمل.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤)، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم حديث (١٠٤)، من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ» وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».

والطالب يكون في دراسته مجتهدًا غاية الاجتهاد ذكيًّا في غاية من الذكاء، وكل عام ينجح وينجح بتفوق على أقرانه، ويأتي في امتحان الثانوية مثلًا - التي بعدها يتجه إلى جامعة من الجامعات- فيخرج من بيته صباحًا للامتحان؛ فيسقط من على الدَّرج فتكسر رجله، أو يهشم رأسه، أو تصدمه سيارة فيذهب إلى المستشفى والآلام تحيط به من كل جانب والدم ينزف منه من كل مكان، يعالج ويتألم وزملاؤه في الامتحان يؤدونه بهدوء أعصاب وراحة بال، فماذا عساه أن يفعل إذا لم يكن مؤمنًا بأقدار الله؟!!

لا شك أنه إذا كان مؤمنًا بالله وبأقداره رضي وحمد الله على كل حال، وعلم أن هذا ابتلاء من الله، وأن الله ﷻ يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فكان أمله ورجاؤه فيما عند الله، واحتسب كل ما أصابه في نفسه وبدنه ودنياه، فحينئذٍ يبدله الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه.

* والمرأة أو الفتاة تكون جميلة حسناء يتحدث أهل البلدة عن حسنها وجمالها وبهائها؛ فما تلبث إلا قليلًا حتى تُبتلى، تذهب لطهي طعام يتناثر زيت حار على وجهها وجسمها فيشوهها ويفرُّ الناس منها عند رؤيتها، فكيف تصنع مثل هذه إذا لم تكن تؤمن بالله وبأقداره وترضى بقضائه؟!!

أما عن القول الخامس في المراد بذكر الله: فكما أسلفنا هو اليمين بالله!

فإذا شككت أنه قد حدث أمرٌ ما من أحد إخوانك أو أصدقائك أو غيرهم، وارتبت في الأمر، وذهبت بك الظنون هاهنا وهاهنا، واضطرب قلبك ولم يستقر على حال ولم يهدأ لك بالٌ، وليست عندك بينات قواطع، ولا شهود ثقات، فتقدم لك من شككت في أمره وأقسم لك يمينًا بالله أنه ما فعل الذي اتهمته به فحينئذٍ ينبغي أن يطمئن قلبك ويهدأ بالك فإن كان صادقًا في

يمينه فلا تحمل نفسك إثم الظن السيئ به، وإنه كان كاذبًا في يمينه فسينتقم الله لك منه وسيكفيكهم الله.

فهكذا يطمئن القلب بذكر الله ﷻ إذا رضي صاحبه باليمين الذي شرعه الله، وأذكر هاهنا حديثًا ورد عن رسول الله ﷺ في واقعة من الوقائع.

أخرج البخاري ومسلم من حديث قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»(١)، قَالَ: فَقَالَ الأَشْعَثُ: فِيَّ وَاللهِ كَانَ ذَلِكَ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَكَ بَيِّنَةٌ**»، قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: «**احْلِفْ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا يَحْلِفَ وَيَذْهَبَ بِمَالِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} [آل عمران: ٧٧] إِلَى آخِرِ الآيَةِ.

أما الوجه السادس فذكر الله الذي تطمئن به القلوب هو ذكره تعالى في الصلاة:

وقد قال تعالى: ﴿﴾ [طه: ١٤].

أي: لتذكرني فيها، ووجه آخر: وأقم الصلاة حتى تحظى بذكري لك، فإن

---

(١) أخرجه البخاري في عدة مواطن من «صحيحه»، منها (٢٦٦٦، ٢٦٦٧)، ومسلم حديث (١٣٨)، وغيرهم.

وثمَّ سبب نزول آخر لهذه الآية الكريمة أخرجه البخاري (٤٥٥١) من طريق إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنهما: «أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَةً فِي السُّوقِ، فَحَلَفَ فِيهَا، لَقَدْ أَعْطَى بِهَا مَا لَمْ يُعْطِهِ، لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ المُسْلِمِينَ»، فَنَزَلَتْ: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} [آل عمران: ٧٧] إِلَى آخِرِ الآيَةِ. لكن في إسنادها إبراهيم بن عبد الرحمن وهو السكسكي متكلم فيه، وقد انتقد الدارقطني على البخاري إخراج بعض الأحاديث من طريقه.

MOSTAFALADAWY.COM

من ذكر الله ذكره الله، كما قال تعالى: ﴿﴾ [البقرة: ١٥٢]. وكما قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي: «**مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»(١).

وبالصلاة تطمئن القلوب، ولذا فقد كان النبي ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمرٌ صَلَّى(٢)، وكان أيضًا صلوات الله وسلامه عليه يقول لبلال: «**قُمْ يَا بِلَال فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ**»(٣)، فصاحب القلب المضطرب إذا وقف بين يدي الله في صلاته، وذكره ودعاه ولجأ إليه ورجاه، وعظم ربه وركع، وخشع له وسجد اطمأن قلبه وهدأ باله بإذن الله.

أما الوجه السابع، فالذكر هو الاستغفار:

فاضطراب القلب من المصائب، وكذا قلقه وتقلبه، والمصائب إنما تتأتى وتحل في كثيرٍ من الأحيان بسبب الذنوب والمعاصي، فقد قال الله تعالى: ﴿﴾ [الشورى: ٣٠].

وهذه الصمائب وتلك العقوبات، تُدفع بالاستغفار، قال تعالى: ﴿﴾ [الأنفال: ٣٣].

فبالاستغفار، وكذا رد المظالم إلى أهلها كلُّ ذلك يطمئن القلب بإذن الله، ويُذهب روعه وخوفه وقلقه واضطرابه.

وأخيرًا...

فكل هذه الأقوال حق، وكلها صدقٌ، والاختلاف في تأويل الذكر هنا

---

(١) البخاري (١٣/ ٣٨٤).

(٢) صحيح لشواهده: أخرجه أبو داود (١١٥).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود حديث (٤٩٨٦).

Mostafabdy.com

اختلاف تنوع، وليس باختلاف تضاد، فمن اضطرب قلبه وأراد له السكون والطمأنينة فعليه:

* بتلاوة القرآن وتدبره وتأمل آياته وتفهمها.
* وعليه بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتمجيد.
* وعليه كذلك بالأذكار الموظفة الواردة في الكتاب العزيز وصحيح السنة.
* وكذا فليرض بقضاء الله الذي قضاه، وقدره الذي قدَّر.

وكذا فليرض بشرع الله، وليقبل اليمين بالله، ويكلُ ما وراء ذلك إلى الله ﷻ.

* وكذا فعليه بالصلاة.
* وليكلِّل ذلك بالاستغفار ورد المظالم إلى أهلها فبذلك تطمئن القلوب، ومن أصدق من الله قيلًا.

ومن أصدق من الله حديثًا، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟!!

طمأن الله قلوبنا بذكره، وأعننا ربنا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وهكذا يا رسول الله أرسلناك للناس

رسولًا في جماعة من الناس قد مضت قبلها جماعات من الناس، أرسلناك لتتلوا عليهم القرآن الذي أوحيناه إليك، وتعلمهم إياه وتأمرهم بامتثال ما فيه من الأوامر واجتناب ما نهى الله عنه وتخبرهم بسائر ما فيه من الأخبار، وهم يكفرون بالرحمن، وهنا وجهان للعلماء في قوله تعالى: ﴿﴾:

أحدهما وأظهرهما: أنهم: يجحدون وحدانية الله ﷻ فيشركون به ما لم ينزل به سلطانًا.

والثاني: أنهم ينكرون اسم الرحمن، قال تعالى: ﴿﴾.

وقد قال سهيل بن عمرو لرسول الله ﷺ يوم الحديبية: «وَمَا نَدْرِي مَا الرَّحْمَنِ».

فقل يا رسول الله لهؤلاء وأولئك إن الله الرحمن هو ربي لا معبود بحق إلا هو عليه اعتمدت في شؤوني كلها وإليه توبتي ورجوعي إذا أنا أذنبت، وإليه رجوعي كذلك لقضاء حوائجي ولكشف الضر عني.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: هكذا أرسلناك يا محمد في جماعة من الناس (١) يعني إلى جماعةً= قد خلت من قبلها جماعات على مثل الذي هم عليه، فمضت (٢) (لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك) ، يقول: لتبلغهم ما أرسَلْتك به إليهم من وحيي الذي أوحيته إليك= (وهم يكفرون بالرحمن) ، يقول: وهم يجحدون وحدانيّة الله، ويكذّبون بها= (قل هو ربي) ، يقول: إنْ كفر هؤلاء الذين أرسلتُك إليهم، يا محمد بالرحمن، فقل أنت: الله ربّي (لا إله إلا هو عليه توكلت والله متاب) ، يقول: وإليه مرجعي وأوبتي.

MOSTAFALADWA.COM

= وهو مصدر من قول القائل:"تبت مَتَابًا وتوبةً.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: وكما أرسلناك يا محمد في هذه الأمة: {لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك} أي: تبلغهم رسالة الله إليهم، كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة بالله، وقد كذب الرسل من قبلك، فلك بهم أسوة، وكما أوقعنا بأسنا ونقمتنا بأولئك، فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم، فإن تكذيبهم لك أشد من تكذيب غيرك من المرسلين، قال الله تعالى: {تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهمالشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم} [النحل: ٦٣] وقال تعالى: {ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين} [الأنعام: ٣٤] أي: كيف نصرناهم، وجعلنا العاقبة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة.

وقوله: {وهم يكفرون بالرحمن} أي: هذه الأمة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن، لا يقرون به؛ لأنهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم؛ وَلِهَذَا أَنِفُوا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَنْ يَكْتُبُوا {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} وَقَالُوا: مَا نَدْرِي مَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. قَالَهُ قَتَادَةُ، وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[1] وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الإِسْرَاءِ: ١١٠] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَحَبَّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ**

(١) البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»[(١)].

{قل هو ربي لا إله إلا هو} أي: هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به، معترف مقر له بالربوبية والإلهية، هو ربي لا إله إلا هو، {عليه توكلت} أي: في جميع أموري، {وإليه متاب} أي: إليه أرجع وأنيب، فإنه لا يستحق ذلك أحد (٤) سواه.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ} إلى قومك تدعوهم إلى الهدى {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ} أرسلنا فيهم رسلنا، فلست ببدع من الرسل حتى يستنكروا رسالتك، ولست تقول من تلقاء نفسك، بل تتلو عليهم آيات الله التي أوحاها الله إليك، التي تطهر القلوب وتزكي النفوس.

والحال أن قومك يكفرون بالرحمن، فلم يقابلوا رحمته وإحسانه -التي أعظمها أن أرسلناك إليهم رسولا وأنزلنا عليك كتابا- بالقبول والشكر بل قابلوها بالإنكار والرد، أفلا يعتبرون بمن خلا من قبلهم من القرون المكذبة كيف أخذهم الله بذنوبهم، {قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلا هُوَ} وهذا متضمن للتوحيدين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية.

فهو ربي الذي رباني بنعمه منذ أوجدني، وهو إلهي الذي {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} في جميع أموري {وَإِلَيْهِ مَتَابِ} أي: أرجع في جميع عباداتي وفي حاجاتي.

❁ ❁ ❁

(١) مسلم (٢١٣٢).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾.

ج: في صدر الآية الكريمة وجهان من وجوه التأويل:

أحدهما: أن أول الآية الكريمة متعلق بما قبله، فالمعنى، وهم يكفرون بالرحمن ولو أتاهم قرآن سُيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كُلِّم به الموتى، فلو أتاهم قرآن فيه مخاطبة للجبال: يا جبال سيري، فتسير الجبال في الحال في الدنيا أمام أعينهم، أو فيه يا أرض تقطعي فتتقطع الأرض في الحال، أو أنه قال للأموات قوموا واسمعوا، فقاموا وسمعوا، لو أتاهم قرآن هكذا ما آمنوا أيضًا ولاستمروا في كفرهم بالرحمن.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿﴾ جملة ابتدائية خبرها محذوف لكن مفهوم من السياق، فالمعنى: ولو أن قرآنًا سيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كَلَّم به الموتى لكان هذا القرآن.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فإنه، والله أعلم متعلق بأمر الهداية في هذا الموطن فالهداية – هداية التوفيق موكولة على الله ﷻ كلها، لا يهتدي إلا من هداه الله، ولن يستطيع أحدٌ أن يوفق أحدًا فالتوفيق من الله.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فمعناه: أفلم يعلم ويتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لوفّق الناس كلهم، ولكن ربنا يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ أي: قائمين على كفرهم لا يتعظون ولا يعتبرون فتصيبهم بذلك القوارع، المصائب سواء المصائب التي تحل بهم من غزوك

MOSTAFAABW.COM

لهم وسراياك التي تبعثها إليهم فتقتلهم أو تسبي نساءهم وذراريهم أو تغنم أحوالهم.

أو كانت تلك القوارع دون تدخل منك كالمصائب التي تحل بهم من عند الله كالطوفان والأمراض والأسقام والصواعق والرياح وسائر صور العذاب، تحل بهم هذه أو تحل بأقوام على شاكلتهم مجاورين لهم حتى يتعظوا بغيرهم وحتى يغيروا بغيرهم، تحل بهم تلك المصائب والقوارع حتى يأتي يوم القيامة ولن يخلف الله وعده بمجيء هذا اليوم وقيل: إن العباد فتح مكة، والأول أظهر، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك:

فقال بعضهم: معناه: (وهم يكفرون بالرحمن) ، ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال) ، أي: يكفرون بالله ولو سَيَّر لهم الجبال بهذا القرآن.وقالوا: هو من المؤخر الذي معناه التقديم. وجعلوا جواب "لو" مقدَّمًا قبلها، وذلك أن الكلام على معنى قيلهم: ولو أنّ هذا القرآن سُيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض، لكفروا بالرحمن.

وقال آخرون: بل معناه: (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) كلامٌ مبتدأ منقطع عن قوله: (وهم يكفرون بالرحمن) . قال: وجوابُ "لو" محذوف اسْتغنيَ بمعرفة السامعين المرادَ من الكلام عن ذكر جوابها. قالوا: والعرب تفعل ذلك كثيرًا، ومنه قول امرئ القيس:

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَرِيحَةً وَلكِنَّهَا نَفْسٌ تَقَطَّعُ أَنْفُسَا

وهو آخر بيت في القصيدة، (٢) فترك الجواب اكتفاءً بمعرفة سامعه مرادَه.

mostafalaby.com

وأورد بما يصحح لغيره عن قتادة قوله: (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) ، ذكر لنا أن قريشًا قالوا: إن سَرَّك يا محمد، اتباعك= أو: أن نتبعك= فسيّر لنا جبال تِهَامة، أو زد لنا في حَرَمنا حتى نتَّخذ قَطَائع نخترف فيها، (١) أو أحِي لنا فلانًا وفلانًا! ناسًا ماتوا في الجاهلية. فأنزل الله: (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) ، يقول: لو فعل هذا بقرآنٍ قبل قرآنكم لفُعِل بقرآنكم.

وبإسنادٍ صحيح ابن زيد في قوله: (ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال) ، الآية، قال: قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كنت صادقًا فسيِّر عنا هذه الجبال واجعلها حروثًا كهيئة أرض الشام ومصر والبُلْدان، أو ابعث موتانَا فأخبرهم فإنهم قد ماتوا على الذي نحن عليه! فقال الله: (ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) ، لم يصنع ذلك بقرآن قط ولا كتاب، فيصنع ذلك بهذا القرآن.

وقال في تأويل قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا}

اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى قوله (أفلم ييأس) .

فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه: ألم يعلمْ ويتبيَّن.

وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك، ويزعم أنه لم يسمع أحدًا من العرب يقول:"يئست" بمعنى:"علمت". ويقول هو في المعنى= وإن لم يكن مسموعًا:"يئست" بمعنى: علمت= يتوجَّهُ إلى ذلك.

قال الطبري:

وأما أهل التأويل فإنهم تأولوا ذلك بمعنى: أفلم يعلَم ويتبيَّن.

وقال الطبري:

والصواب من القول في ذلك ما قاله أهل التأويل: إن تأويل ذلك:"أفلم يتبين ويعلم"، لإجماع أهل التأويل على ذلك، والأبيات التي أنشدناها فيه.

فتأويل الكلام إذاً: ولو أنّ قرآنًا سوى هذا القرآن كان سُيّرت به الجبال، لسُيّر بهذا القرآن، أو قُطّعت به الأرض لُقطعت بهذا، أو كُلِّم به الموتى، لكُلِّم بهذا، ولكن لم يُفعل ذلك بقرآن قبل هذا القرآن فيُفْعل بهذا (١) (بل لله الأمر جميعًا) ، يقول ذلك: كله إليه وبيده، يهدى من يشاءُ إلى الإيمان فيوفِّقَه له، ويُضِل من يشاء فيخذله، أفلم يتبيَّن الذين آمنوا بالله ورسوله= إذْ طمِعوا في إجابتي من سأل نبيَّهم ما سأله من تسيير الجبال عنهم، (٢) وتقريب أرض الشأم عليهم، وإحياء موتاهم= أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا إلى الإيمان به من غير إيجاد آية، ولا إحداث شيء مما سألوا إحداثه؟ يقول تعالى ذكره: فما معنى محبتهم ذلك، مع علمهم بأن الهداية والإهلاك إليّ وبيدي، أنزلت آيةً أو لم أنزلها ؛ أهدي من أشاءُ بغير إنزال آية، وأضلّ من أردتُ مع إنزالها.

وقال في تأويل قوله تعالى: {وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١)}.

يقول تعالى ذكره: (ولا يزال) يا محمد= (الذين كفروا) ، من قومك= (تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم بالله، وتكذيبهم إياك، وإخراجهم لك من بين أظهرهم= (قارعة) ، وهي ما يقرعهم من البلاء والعذاب والنِّقم، بالقتل أحيانًا، وبالحروب أحيانًا، والقحط أحيانًا= (أو تحل) ، أنت يا محمد، يقول: أو تنزل أنت= (قريبًا من دارهم) بجيشك وأصحابك= (حتى يأتي وعدُ الله)

الذي وعدك فيهم، وذلك ظهورُك عليهم وفتحُك أرضَهمْ، وقهرْك إياهم بالسيف= (إن الله لا يخلف الميعاد) ، يقول: إن الله منجزك، يا محمد ما وعدك من الظهور عليهم، لأنه لا يخلف وعده.

وأورد الطبري أقوالًا في تفسير ﴿﴾ منها سرية أي: سرية ترسلها يا رسولالله فتقتلهم وتسبيهم وتغنم أموالهم.

وقولًا آخر أن القارعة قارعة من العذاب، وكذا أورد قولين في تفسير: ﴿حتى يأتي وعد الله﴾ أحدهما فتح مكة، والآخر يوم القيامة.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مادحا للقرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم، ومفضلا له على سائر الكتب المنزلة قبله: {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال} أي: لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق (٥) أو تكلم (٦) به الموتى في قبورها، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك؛ لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به، جاحدون له، {بل لله الأمر جميعا} (١) أي: مرجع الأمور كلها إلى الله، عز وجل، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ومن يضلل فلا هادي له، ومن يهد (٢) الله فلا مضل له.

وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة؛ لأنه مشتق من الجميع، قال الإمام أحمد[1]:

---

(١) أحمد (٢/ ٣١٤)، والبخاري (٣٤١٧).

والمراد بالقرآن هنا الزبور.

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَر، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُفِّفَت عَلَى دَاوُدَ الْقِرَاءَةُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَابَّتِهِ أَنْ تُسْرَجَ، فَكَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسرج دَابَّتُهُ، وَكَانَ لا يَأْكُلُ إِلَّا مَنْ عَمَلِ يَدَيْهِ**». انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الْبُخَارِيُّ.

وقوله: {أفلم ييأس الذين آمنوا} أي: من إيمان جميع الخلق ويعلموا أو يتبينوا (٥) {أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا} فإنه ليس ثم (٦) حجة ولا معجزة أبلغ ولا أنجع في النفوس والعقول من هذا القرآن، الذي لو أنزله الله على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله. وثبت في الصَّحِيح أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُوتِيَ مَا آمَنَ عَلَى مِثْلِهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» معناه: أن معجزة كل نبي انقرضت بموته، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله.

وقال غير واحد من السلف في قوله: {أفلم ييأس الذين آمنوا} أفلم يعلم الذين آمنوا. وقرأ (١) آخرون: "أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا".

وقوله: {ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم} أي: بسبب تكذيبهم، لا تزال القوارع تصيبهم في الدنيا، أو تصيب من حولهم ليتعظوا ويعتبروا، كما قال تعالى: {ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون} [الأحقاف: ٢٧] وقال {أفلا يرون أنا نأتي

الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون} [الأنبياء: ٤٤] . (٣)

قال قتادة، عن الحسن: {أو تحل قريبا من دارهم} أي: القارعة. وهذا هو الظاهر من السياق.

وأورد أقوالًا في المراد بـ﴿وعد الله﴾ منها: يوم القيامة، ومنها: فتح مكة.

قال ابن كثير:

وقوله: {إن الله لا يخلف الميعاد} أي: لا ينقض وعده لرسله بالنصرة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة، {فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام} [إبراهيم: ٤٧] .

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مبينا فضل القرآن الكريم على سائر الكتب المنزلة: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا} من الكتب الإلهية {سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ} عن أماكنها {أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ} جنانا وأنهارا {أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} لكان هذا القرآن. {بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا} فيأتي بالآيات التي تقتضيها حكمته، فما بال المكذبين يقترحون من الآيات ما يقترحون؟ فهل لهم أو لغيرهم من الأمر شيء؟.

{أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا} فليعلموا أنه قادر على هدايتهم جميعا ولكنه لا يشاء ذلك، بل يهدي من يشاء، ويضل من يشاء {وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا} على كفرهم، لا يعتبرون ولا يتعظون، والله تعالى يوالي عليهم القوارع التي تصيبهم في ديارهم أو تحل قريبا منها، وهم مصرون على كفرهم {حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ} الذي وعدهم به، لنزول العذاب المتصل الذي لا يمكن رفعه، {إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} وهذا تهديد لهم وتخويف من نزول ما وعدهم الله به على كفرهم وعنادهم وظلمهم.

nostraabw.com

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

ج: هذه - والله أعلم-: مواساة لرسول الله ﷺ فإن كان القوم قد استهزءوا بك يا رسول الله فلا تجزع لذلك، فقد استهزئ بإخوانك المرسلين من قبلك، فاصبر كما صبروا فإنني أنتصر لك كما انتصرت لهم، وإن كنت قد أخَّرت العقوبة عن هؤلاء فإنني أخرتها شيئًا ما عن الذين كفروا من قبل ولم يكن تأخيري لهم عن ترك وعدم مؤاخذة بل أمهلتهم كي يزدادوا إثمًا مكا قال تعالى: ﴿﴾، ثم أخذتهم أخذة شديدة فانظر كي كان عقابي وأخذي لهم لقد كان أخذًا شديدًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ويطلبوا منك الآيات تكذيبًا منهم ما جئتهم به، فاصبر على أذاهم لك وامض لأمر ربك في إنذارهم، والإعذار إليهم، (١) فلقد استهزأت أممٌ من قبلك قد خَلَت فمضتْ بُرسلِي، (٢) فأطلتُ لهم في المَهَل، ومددت لهم في الأجَل، ثم أحللتُ بهم عذابي ونقمتي حين تمادَوْا في غيِّهم وضَلالهم، فانظر كيف كان عقابي إياهم حين عاقبتهم، ألم أذقهم أليم العذاب، وأجعلهم عبرةً لأولي الألباب؟

و"الإملاء" في كلام العرب، (١) الإطالة، يقال منه:"أمْلَيتُ لفلان"، إذا أطلت له في المَهَل.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مسليا لرسوله صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه: {ولقد استهزئ برسل من قبلك} أي: فلك فيهم أسوة، {فأمليت للذين كفروا} أي: أنظرتهم وأجلتهم، {ثم أخذتهم} أخذة رابية، فكيف بلغك ما صنعت بهم وعاقبتهم؟ كما قال تعالى: {وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير} [الحج: ٤٨] وفي الصحيحين: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد} [هود: ١٠٢].

وقال السعدي رحمه الله:

يقول تعالى لرسوله -مثبتا له ومسليا- {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ} فلست أول رسول كذب وأوذي {فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا} برسلهم أي: أمهلتهم مدة حتى ظنوا أنهم غير معذبين. {ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ} بأنواع العذاب {فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} كان عقابا شديدا وعذابا أليما، فلا يغتر هؤلاء الذين كذبوك واستهزؤوا بك بإمهالنا، فلهم أسوة فيمن قبلهم من الأمم، فليحذروا أن يفعل بهم كما فعل بأولئك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۚ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أفرب العباد الله ﷻ الذي هو قائم على كل نفس يحفظ عليها أعمالها ويكتبه عليها ويدبر أمر الأنفس كلها ويتولاها

ويرزقها ويحفظها ويجازيها على عملها أحق بالعبادة أم الشركاء الذين اتخذوهم مع الله ﷻ وعبدوهم معه.

فجواب قوله: ﴿﴾ محذوف ولكنه مفهوم، والعلم عند الله، وهو أحق بالعبادة أم الأوثان والأصنام وسائر المعبودات؟!!

أما قوله تعالى: ﴿﴾ أي: هؤلاء المشركون عبدوا مع الله ﷻ آلهة أُخرى فارتجوا نفعها وأنها تكشف عن الضرَّ، فقل لهؤلاء المشركين سموا هؤلاء الذين زعمتم أنهم آلهة مع الله، أعلمونا بهم وأخبرونا بأسمائهم وحقيقتهم وأيضًا اذكروا لنا صفاتهم وسيماهم هل منهم الرازق هل منهم الشافي والذي يكشف الضرَّ ويجيب المضطر، وقل يا رسول الله لهؤلاء المشركين أتخبرون الله ﷻ بأمور لا يعلمها في السموات ولا في الارض أتظنون أن هناك آلهة في السموات أو في الأرض والله لا يعلمها، كلا فالله يعلم كل شيء، وليست هنالك مع الله آلهة أخرى.

أو قوله تعالى: ﴿﴾ فقيل في معناه: أم، وقيل: المراد، أم بباطل من القول، وقيل: أم بظنٍّ من القول، ألا فاعلم أنه ليس لله شريك، وإنما زين للذين كفروا شركهم وكيدهم ومكرهم، وصُرفوا عن طريق الحق، ومن يصرفه الله عن طريق الحق فلن تجد من يهديه ولا من يسدده.

فلهؤلاء الكفار الذين أضلهم الله وصرفهم عن الحق لهم عذاب في الحياة الدنيا، سواء بقتلك لهم أو إرسال السرايا عليهم، أو بتسليط الأمراض والأوبئة عليهم، ﴿﴾ وذلك يوم القيامة اشق من عذاب الدنيا وأشد وما لهم من الله من واق يقيهم عذاب الله، كما قال تعالى: ﴿﴾ والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

Nostrapdf.com

يقول تعالى ذكره: أفَالرَّبُ الذي هو دائمٌ لا يَبيدُ ولا يَهْلِك، قائم بحفظ أرزاق جميع الخَلْق، (١) متضمنٌ لها، عالمٌ بهم وبما يكسبُونه من الأعمال، رقيبٌ عليهم، لا يَعْزُب عنه شيء أينما كانوا، كَمن هو هالك بائِدٌ لا يَسمَع ولا يُبصر ولا يفهم شيئًا، ولا يدفع عن نفسه ولا عَمَّن يعبده ضُرًّا، ولا يَجْلب إليهما نفعًا؟ كلاهما سَواءٌ؟

وحذف الجواب في ذلك فلم يَقُل، وقد قيل (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) : ككذا وكذا، اكتفاءً بعلم السامع بما ذَكَر عما ترك ذِكْره. وذلك أنه لما قال جل ثناؤه: (وَجعلُوا لله شُرَكاء) ، عُلِمَ أن معنى الكلام: كشركائهم التي اتخذوها آلهةً. كما قال الشاعر: (٢)

تَخَيَّرِي خُيِّرْتِ أُمَّ عَمَّالِ ... بَيْنَ قَصِيرٍ شِبْرُهُ تِنْبَالِ

أَذَاكَ أَمْ مُنْخَرِقُ السِّرْبَالِ ... وَلا يَزَالُ آخِرَ اللَّيَالِي

مُتْلِفَ مَالٍ وَمُفِيدَ مَالِ

ولم يقل وقد قال:"شَبْرُهُ تِنْبَال"، (٢) وبين كذا وكذا، اكتفاء منه بقوله:"أذاكَ أم منخرق السربال"، ودلالة الخبر عن المنخرق السربال على مراده في ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) ، ذلكم ربكم تبارك وتعالى، قائمٌ على بني آدمَ بأرزاقهم وآجالهم، وحَفظ عليهم والله أعمالهم.

وقوله: (وجَعَلوا لله شركاءَ قُلْ سَموهم أم تنبِّئونه بما لا يعلم في الأرض أمْ بظاهر من القول) ، يقول تعالى ذكره: أنا القائم بأرزاق هؤلاء المشركين،

والمدبِّرُ أمورهم، والحافظُ عليهم أعمالَهُمْ، وجعلوا لي شركاء من خلقي يعبدُونها دوني، قل لهم يا محمد: سمّوا هؤلاء الذين أشركتموهم في عبادة الله، فإنهم إن قالوا: آلهة فقد كذبوا، لأنه لا إله إلا الواحد القهار لا شريك له= (أم تُنَبِّؤونَه بما لا يعلم في الأرضُ) ، يقول: أتخبرونه بأن في الأرض إلهًا، ولا إله غيرُه في الأرض ولا في السماء؟

وقوله: (أم بظاهر من القول) ، مسموع، (١) وهو في الحقيقة باطلٌ لا صحة له.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أنهم قالوا: (أم بظاهر) ، معناه: أم بباطل، فأتوا بالمعنى الذي تدل عليه الكلمة دون البيان عن حَقيقة تأويلها.

وقوله: (بل زُيِّن للذين كفروا مكرهم) ، يقول تعالى ذكره: ما لله من شريك في السموات ولا في الأرض، ولكن زُيِّن للمشركين الذي يدعون من دونه إلهًا، (٢) مَكْرُهم، وذلك افتراؤهُم وكذبهم على الله. (٣)

وأما قوله: (وصدوا عن السبيل) ، فإن القَرَأة اختلفت في قراءته.

فقرأته عامة قَرَأة الكوفيين: (وَصُدُّوا عن السَّبِيلِ) ، بضم "الصاد" ، بمعنى: وصدَّهم الله عن سبيله لكفرهم به، ثم جُعلت "الصاد" مضمومة إذ لم يُسَمَّ فاعله.

وأما عامة قرأة الحجاز والبصرة، فقرأوه بفتح "الصاد" ، على معنى أن المشركين هم الذين صَدُّوا الناس عن سبيل الله. (٢)

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمةٌ من القرأة، متقاربتا المعنى، وذلك أن المشركين

بالله كانوا مصدودين عن الإيمان به، وهم مع ذلك كانوا يعبدون غيرهم، كما وصفهم الله به بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُون أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) . [الأنفال: ٣٦]

وقوله (ومن يُضْلل الله فمَا لهُ من هادٍ) ، يقول تعالى ذكره: ومن أضلَّه الله عن إصابة الحق والهدى بخذلانه إياه، فما له أحدٌ يهديه لإصابتهما، لأن ذلك لا يُنَال إلا بتوفيق الله ومعونته، وذلك بيد الله وإليه دُون كل أحد سواه.

ويقول تعالى ذكره، لهؤلاء الكفار الذين وَصَف صفَتَهم في هذه السورة، عذابٌ في الحياة الدنيا بالقتل والإسار والآفاتِ التي يُصيبهم الله بها= (ولعذاب الآخرة أشق) ، يقول: ولتعذيبُ الله إياهم في الدار الآخرة أشدُّ من تعذيبه إيَّاهم في الدنيا.

"وأشقّ" إنما هو"أفعلُ" من المشقَّة.

وقوله: (وما لهم من الله من وَاقٍ) ، يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء الكفار من أحدٍ يقيهم من عذاب الله إذا عذَّبهم، لا حَمِيمٌ ولا وليٌّ ولا نصيرٌ، لأنه جل جلاله لا يعادُّه أحدٌ فيقهره، (١) فيتخَلَّصَه من عذابه بالقهر، (٢) ولا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، وليس يأذن لأحد في الشفاعة لمن كفر به فمات على كفره قبل التَّوبة منه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: {أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت} أي: حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية، {وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه} [يونس: ٦١] وقال تعالى: {وما

تسقط من ورقة إلا يعلمها} [الأنعام: ٥٩] وقال {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين} [هود:٦] وقال {سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار} [الرعد: ١٠] وقال {يعلم السر وأخفى} [طه: ٧] وقال {وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير} [الحديد ٤] أفمن هو هكذا كالأصنام التي يعبدونها (٢) لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ولا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه، وهو قوله: {وجعلوا لله شركاء} أي: عبدوها معه، من أصنام وأنداد وأوثان.

{قل سموهم} أي: أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يعرفوا، فإنهم لا حقيقة لهم؛ ولهذا قال: {أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض} أي: لا وجود له؛ لأنه لو كان له (٣) وجود في الأرض لعلمها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية.

{أم بظاهر من القول} قال مجاهد: بظن من القول.

وقال الضحاك وقتادة: بباطل من القول.

أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر، وسميتموها آلهة، {إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى} [النجم: ٢٣].

{بل زين للذين كفروا مكرهم} قال مجاهد: قولهم، أي: ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف النهار، كما قال تعالى: {وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت

MOSTAFABDW.COM

من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين} [فصلت: ٢٥] .

"وصدوا عن السبيل": من قرأها بفتح الصاد، معناه: أنهم لما زين لهم ما فيه وأنه حق، دعوا إليه وصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل. ومن قرأها {وصدوا} (١) أي: بما زين لهم من صحة ما هم عليه، صدوا به عن سبيل الله؛ ولهذا قال: {ومن يضلل الله فما له من هاد} كما قال {ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا} [المائدة: ٤١] وقال {إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين} [النحل: ٣٧] .

وقال ابن كثير رحمه الله:

ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار: فقال بعد، إخباره عن حال (١) المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك: {لهم عذاب في الحياة الدنيا} أي: بأيدي المؤمنين قتلا وأسرا، {ولعذاب الآخرة} أي: المدخر [لهم] (٢) مع هذا الخزي في الدنيا، " أشق " أي: من هذا بكثير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين: "إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة" (٣) وهو كما قال، صلوات الله وسلامه عليه، فإن عذاب الدنيا له انقضاء، وذاك دائم أبدا في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفا، ووثاق لا يتصور كثافته وشدته، كما قال تعالى: {فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد} [الفجر: ٢٥، ٢٦] وقال تعالى: {بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا} [الفرقان: ١١ -١٥] .

Nostrahadith.com

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} بالجزاء العاجل والآجل، بالعدل والقسط، وهو الله تبارك وتعالى كمن ليس كذلك؟

ولهذا قال: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ} وهو الله الأحد الفرد الصمد، الذي لا شريك له ولا ند ولا نظير، {قُلْ} لهم إن كانوا صادقين: {سَمُّوهُمْ} لتعلم حالهم {أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ} فإنه إذا كان عالم الغيب والشهادة وهو لا يعلم له شريكا، علم بذلك بطلان دعوى الشريك له، وأنكم بمنزلة الذي يُعَلِّمُ الله أن له شريكا وهو لا يعلمه، وهذا أبطل ما يكون؛ ولهذا قال: {أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ} أي: غاية ما يمكن من دعوى الشريك له تعالى أنه بظاهر أقوالكم.

وأما في الحقيقة، فلا إله إلا الله، وليس أحد من الخلق يستحق شيئا من العبادة، ولكن {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ} الذي مكروه وهو كفرهم وشركهم، وتكذيبهم لآيات الله {وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ} أي: عن الطريق المستقيمة الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، {وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} لأنه ليس لأحد من الأمر شيء.

{لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ} من عذاب الدنيا لشدته ودوامه، {وَمَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ} يقيهم من عذاب الله، فعذابه إذا وجهه إليهم لا مانع منه.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعني: نفسه ﷻ. ومعنى القيام هاهنا: التولي لأمور خَلقه، والتدبير لأرزاقهم وآجالهم، وإِحصاء

أعمالهم للجزاء، والمعنى: أفمن هو مجازي كلّ نفس بما كسبت، يثيبها إذا أحسنت، ويأخذها بما جنت، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام؟ قال الفراء: فتُرك جوابه، لأن المعنى معلوم، وقد بيَّنه بعد هذا بقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ كأنه قيل: كشركائهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: بما يستحقونه من الصفات وإضافةِ الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله كما يُسمى الله بالخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، ولو سمَّوهم بشيء من هذا لكذبوا.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا استفهام منقطع مما قبله، والمعنى: فإن سمَّوهم بصفات الله، فقل لهم: أتنبئونه، أي: أتخبرونه بشريك له في الأرض وهو لا يعلم لنفسه شريكًا، ولو كان لَعَلِمَه.

قوله تعالى: ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أم بظن من القول، قاله مجاهد. والثاني: بباطل، قاله قتادة. والثالث: بكلام لا أصل له ولا حقيقة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ قال ابن عباس: زين لهم الشيطان الكفر.

قوله تعالى: ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وَصَدُّوا» بفتح الصاد، ومثله في (حم المؤمن) [غافر: ٣٧]. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «وصُدُّوا» بالضم فيهما. فمن فتح، أراد: صَدُّوا المسلمين، إما عن الإيمان، أو عن البيت الحرام. ومن ضم، أراد: صدهم الله عن سبيل الهدى.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ وهو القتل، والأسر، والسقم، فهو لهم في الدنيا عذاب، وللمؤمنين كفَّارة، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أي: أشد ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ أي: مانع يقيهم عذابه.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) ليس هذا القيام القيام الذي هو ضد القعود، بل هو بمعنى التولي لأمور الخلق، كما يقال: قام فلان بشغل كذا، فإنه قائم على كل نفس بما كسبت أي يقدرها على الكسب، ويخلقها ويرزقها ويحفظها ويجازيها على عملها، فالمعنى: أنه حافظ لا يغفل، والجواب محذوف، والمعنى: أفمن هو حافظ لا يغفل كمن يغفل. وقيل:" أفمن هو قائم" أي عالم، قاله الأعمش. قال الشاعر:

فلولا رجال من قريش أعزة ... سرقتم ثياب البيت والله قائم

أي عالم، فالله عالم بكسب كل نفس. وقيل: المراد بذلك الملائكة الموكلون ببني آدم، عن الضحاك. (وجعلوا) حال، أي أوقد جعلوا، أو عطف على" استهزئ" أي استهزءوا وجعلوا، أي سموا (لله شركاء) يعني أصناما جعلوها آلهة. (قل سموهم) أي قل لهم يا محمد:" سموهم" أي بينوا أسماءهم، على جهة التهديد، أي إنما يسمون: اللات والعزى ومناة وهبل. (أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض) " أم" استفهام توبيخ، أي أتنبئونه، وهو على التحقيق عطف على استفهام متقدم في المعنى، لأن قوله:" سموهم" معناه: ألهم أسماء الخالقين." أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض"؟. وقيل: المعنى قل لهم أتنبئون الله بباطن لا يعلمه." أم بظاهر من القول" يعلمه؟ فإن قالوا: بباطن لا يعلمه أحالوا، وإن قالوا: بظاهر يعلمه فقل لهم: سموهم، فإذا

Nosrafalaby.com

سموهم اللات والعزى فقل لهم: إن الله لا يعلم لنفسه شريكا. وقيل:" أم تنبئونه" عطف على قوله:" أفمن هو قائم" أي أفمن هو قائم، أم تنبئون الله بما لا يعلم، أي أنتم تدعون لله شريكا، والله لا يعلم لنفسه شريكا، أفتنبئونه بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه! وإنما خص الأرض بنفي الشريك عنها وإن لم يكن له شريك في غير الأرض لأنهم ادعوا له شركاء في الأرض. ومعنى. (أم بظاهر من القول) : الذي أنزل الله على أنبيائه. وقال قتادة: معناه بباطل من القول، ومنه قول الشاعر:

أعيرتنا ألبانها ولحومها وذلك عار يا ابن ريطة ظاهر

أي باطل. وقال الضحاك: بكذب من القول. ويحتمل خامسا «١» - أن يكون الظاهر من القول حجة يظهرونها بقولهم، ويكون معنى الكلام: أتجبرونه بذلك مشاهدين، أم تقولون محتجين. (بل زين للذين كفروا مكرهم) أي دع هذا! بل زين للذين كفروا مكرهم قيل: استدراك على هذا الوجه، أي ليس لله شريك، لكن زين للذين كفروا مكرهم. وقرأ ابن عباس ومجاهد-" بل زين للذين كفروا مكرهم" مسمى الفاعل، وعلى قراءة الجماعة فالذي زين للكافرين مكرهم الله تعالى، وقيل: الشيطان. ويجوز أن يسمى الكفر مكرا، لأن مكرهم بالرسول كان كفرا. (وصدوا عن السبيل) أي صدهم الله، وهي قراءة حمزة والكسائي. الباقون بالفتح، أي صدوا غيرهم، واختاره أبو حاتم، اعتبارا بقوله:" ويصدون عن سبيل الله" «٢» [الأنفال: ٤٧] وقوله:" هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام" «٣» [الفتح: ٢٥] . وقراءة الضم أيضا حسنة في" زين" و" صدوا" لأنه معلوم أن الله فاعل ذلك في مذهب أهل السنة، ففيه إثبات القدر، وهو اختيار أبي عبيد. وقرأ يحيى

بن وثاب وعلقمة-" وصدوا" بكسر الصاد، وكذلك." هذه بضاعتنا ردت إلينا" «٤» [يوسف: ٦٥] بكسر الراء أيضا على ما لم يسم فاعله، وأصلها صددوا ورددت، فلما أدغمت الدال الأولى في الثانية نقلت حركتها على ما قبلها فانكسر. (ومن يضلل الله) بخذلانه. (فما له من هاد) أي موفق، وفي هذا إثبات قراءة الكوفيين ومن تابعهم، لقوله:" ومن يضلل الله" فكذلك قوله:" وصدوا". ومعظم القراء يقفون على الدال من غير الياء، وكذلك" الأموال" و" واق"، لأنك تقول في الرجل: هذا قاض ووال وهاد، فتحذف الياء لسكونها والتقائها مع التنوين. وقرئ" فما له من هادي"،" والي" و" واقي" بالياء، وهو على لغة من يقول: هذا داعي ووالي وواقي بالياء، لأن حذف الياء في حالة الوصل لالتقائها مع التنوين، وقد أمنا هذا في الوقف، فردت الياء فصار هادي ووالي وواقي. وقال الخليل في نداء قاض: يا قاضي بإثبات الياء، إذ لا تنوين مع النداء، كما لا تنوين في نحو الداعي والمتعالي. قوله تعالى: (لهم عذاب في الحياة الدنيا)

أي للمشركين الصادين، بالقتل والسبي والإسار، وغير ذلك من الأسقام والمصائب. (ولعذاب الآخرة أشق)

أي أشد، من قولك: شق علي كذا يشق. (وما لهم من الله من واق)

أي مانع يمنعهم من عذابه ولا دافع. و" من" زائدة.

MOSTAFABOOK.COM

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ
وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ
إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا
وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ
ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا
نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ
مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ
ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾

[الرعد: ٣٥-٤٣]

Mostafa-Dw.com

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ - ٱلْمُتَّقُونَ - أُكُلُهَا دَآئِمٌ - وَظِلُّهَا - عُقْبَى - وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ - ٱلْأَحْزَابِ - يُنكِرُ بَعْضَهُۥ - مَتَابِ - حُكْمًا عَرَبِيًّا - وَلِيٍّ - وَاقٍ - وَذُرِّيَّةً - بِـَٔايَةٍ - لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ - يَمْحُواْ ٱللَّهُ - وَيُثْبِتُ - أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ - نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ - لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ - مَكَرَ - ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا - تَكْسِبُ - عُقْبَى ٱلدَّارِ - عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾	صفة الجنة - شبه الجنة.
﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾	الذي اتقوا الشرك والكبائر.
﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾	ثمرها وطعامها دائم لا يزول ولا ينتقص.
﴿وَظِلُّهَا﴾	ظل أشجارها (دائم أيضًا).
﴿عُقْبَى﴾	العاقبة (الحسنة لأهل التقوى).
﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾	الذين أنزلنا عليى نبيهم الكتاب فتعلموه، وقيل: إنهم اليهود والنصارى الذين آمنوا، وقيل: هم أصحاب محمد ﷺ.
﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾	الأحزاب الكافرة من كفار المشركين وكفار اليهود، والنصارى الذين لم يؤمنوا وغيرهم من أهل الكفر.
﴿يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾	يكفر ببعضه ويقول: ليس هو من عند الله.

MostafaLaw.com

﴿مَتَابِ ﴾	مرجع، والمراد مرجعي يوم القيامة – مصيري.
﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾	أحكامًا وشرائع بلسان عربيٍّ، وقيل: دينًا عربيًّا، وقيل: محكمًا معربًا.
﴿وَلِيّ ﴾	نصير – متولي أمرك.
﴿وَاقٍ ﴾	من يقيك الشر والعذاب – دافع يدفع عنك الشر والعذاب.
﴿وَذُرِّيَّةَ ﴾	أبناء وأحفاد.
﴿بِـَٔايَةٍ ﴾	بمعجزة.
﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾	لكل مدة زمنية كتاب مكتوب فيه ما سيعمل منها، وقيل هنا تقديم وتأخير والمعنى لكل كتاب نزل زمن يعمل به فيه.
﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ ﴾	يُزيل – يُغيِّر – يُبدل.
﴿وَيُثْبِتُ ﴾	يترك بلا تغيير ولا إزالة.
﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	أصل الكتاب الذي يرجع إليه.
﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾	نفتحها لرسول الله ﷺ فيضيق الخناق على الكفار. وقيل: نقبض علمائها وفقهاءها، وقيل: نقلل بركتها وثمارها، وقيل: ندمر بعض البلاد كي يتعظ الآخرون.
﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾	لا راد لقضائه – لا يتعقبه أحد.
﴿مَكَرَ ﴾	كاد – تآمر.

MOSTAFAALWAN.COM

﴿ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾	الكيد والمكر والتدبير.
﴿تَكْسِبُ﴾	تعمل.
﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾	العاقبة (الحسنة) في الدار الآخرة للمؤمنين، والعاقبة (السيئة) لأهل الكفر.
﴿عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾	علم التوراة والإنجيل - وقيل: العلم بالقرآن.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: صفة الجنة التي وعدها الله ﷻ من اتقوا الشرك بالله، وعبدوا الله ووحدوه واتقوا محارمه ومساخطه صفتها: أنها تجري من تحتها الأنهار، أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى.

والطعام والثمار الذي في الجنة لا يزول بل هو دائم كما قال تعالى: ﴿﴾، وكذلك ظلها دائم، فهذه هي العاقبة الحسنة للذين اتقوا، أما عاقبة الكافرين فيه النار والعياذ بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد أقوالًا في تفسير قوله تعالى: ﴿﴾: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ذكر (المثل) فقال: ﴿﴾ والمراد: الجنة، ثم وصفت الجنة بصفتها وليست صفتها شيئًا غيرها...

ثم قال:

وقوله: (أكلها دائمٌ وظلها)، يعني: ما يؤكل فيها، (٣) يقول: هو دائم لأهلها، لا ينقطع عنهم، ولا يزول ولا يبيد، ولكنه ثابتٌ إلى غير نهاية= (وظلها)، يقول: وظلها أيضًا دائم، لأنه لا شمس فيها. (٤)

(تلك عقبى الذين اتقَوْا)، يقول: هذه الجنة التي وصف جل ثناؤه، عاقبة الذين اتَّقَوا الله، فاجتنبوا مَعَاصيه وأدَّوْا فرائضه. (٥)

وقوله: (وعُقْبَى الكافرين النار)، يقول: وعاقبةُ الكافرين بالله النارُ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قرن هذا بهذا؛ فقال: {مثل الجنة التي وعد المتقون} أي: صفتها

MOSTAFAADWY.COM

ونعتها، {تجري من تحتها الأنهار} أي: سارحة في أرجائها وجوانبها، وحيث شاء أهلها، يفجرونها تفجيرا، أي: يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا، كما قال تعالى: {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم} [محمد: ١٥].

وقوله: {أكلها دائم وظلها} أي: فيها المطاعم (١) والفواكه والمشارب، لا انقطاع [لها] (٢) ولا فناء.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ(١)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ، وَفِيهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعت فَقَالَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ -أَوْ: أُرِيتُ الْجَنَّةَ- فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا**».

ثم قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد قال تعالى: {وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة} [الواقعة: ٣٢، ٣٣] وقال {ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا} [الإنسان: ١٤].

وكذلك ظلها لا يزول ولا يقلص، كما قال تعالى: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا} [النساء: ٥٧].

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الصَّحِيحَيْنِ(٢) مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي**

---

(١) البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).

(٢) البخاري (٣٢٥١)، ومسلم (٢٨٢٧).

MOSTAFABDY.COM

الْجَنَّةِ شَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْمُجِدُّ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا»، ثُمَّ قَرَأَ: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} [الْوَاقِعَةِ: ٣٠].

وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين صفة الجنة وصفة النار، ليرغب في الجنة ويحذر من النار؛ ولهذا لما ذكر صفة الجنة بما ذكر، قال بعده: {تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار} كما قال تعالى: {لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون} [الحشر: ٢٠].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: والذين أنزلنا على نبيهم الكتاب فآمنوا به وصدقوه يفرحون بالقرآن الذي ينزل عليك يا رسول الله.

أما من هم الذين عناهم الله بقوله: ﴿﴾، ففيهم قولان:

أحدهما: أنهم مؤمنوا أهل الكتاب، أي: الذين آمنوا من اليهود والنصارى.

والقول الثاني: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين آمنوا به واتبعوه وصدقوه.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ أي: ومن الأحزاب الكافرة من مشركي مكة واليهود والنصارى وغيرهم ممن تخربوا على الكفر من ينكر بعض هذا القرآن، ومن هذا البعض الذي ينكروه نبوة النبي ﷺ، وبعض أحكام الشريعة من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك، وكذا اسم الرحمن، وكذا البعث فإن كثيرين ينكرون ذلك.

فقل لهؤلاء الجاحدين المنكرين، إنما أُمرت أن أعبد الله وحده لا شريك

Mostafa Adly .com

له، ولا اشرك في عبادته أحدًا، وإلى عبادة الله ﷻ لا شريك له أدعو الخلق، وإلى الله مصيري ومرجعي يوم القيامة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين أنزلنا إليهم الكتاب ممَّن آمن بك واتبعك، يا محمد، (يفرحون بما أنزل إليك) منه= (ومن الأحْزاب من ينكر بعضه) ، يقول: ومن أهل الملل المتحزِّبين عليك، وهم أهل أدْيان شَتَّى، (١) من ينكر بعضَ ما أنزل إليك. فقل لهم: (إنَّما أمرتُ) ، أيها القوم (أن أعبد الله) وحده دون ما سواه= (ولا أشرك به) ، فأجعل له شريكًا في عبادتي، فأعبدَ معه الآلهةَ والأصنامَ، بل أخلِص له الدين حَنِيفًا مسلمًا = (إليه أدعو) ، يقول: إلى طاعته وإخلاص العبادة له أدعو الناسَ= (وإليه مآب) ، يقول: وإليه مصيري.

وهو"مَفْعَل"، من قول القائل:"آبَ يَؤُوب أوْبًا ومَآبًا".

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك) ، أولئك أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدَّقُوا به

قوله: (ومن الأحزاب من ينكر بعضه) ، يعني اليهودَ والنصارى.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك) ، قال: هذا مَنْ آمنَ برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فيفرحون بذلك. وقرأ: (وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ) [سورة يونس:٤٠] . وفي قوله: (ومن الأحزاب من ينكر بعضه) ، قال:"الأحزاب": الأممُ، اليهودُ والنصارى والمجوس منهم من آمنَ به،

MostafaAbw.com

ومنهم من أنكره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: {والذين آتيناهم الكتاب} وهم قائمون بمقتضاه {يفرحون بما أنزل إليك} أي: من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به، كما قال تعالى: {الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون} [البقرة: ١٢١] وقال تعالى: {قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا} [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨] أي: إن كان ما وعدنا الله به في كتبنا من إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لحقا وصدقا مفعولا لا محالة، وكائنا، فسبحانه ما أصدق وعده، فله الحمد وحده، {ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا} [الإسراء: ١٠٩].

وقوله: {ومن الأحزاب من ينكر بعضه} أي: ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إليك.

وقال مجاهد: {ومن الأحزاب} اليهود والنصارى، من ينكر بعضه ما جاءك من الحق. وكذا قال قتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وهذا كما قال تعالى: {وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب} [آل عمران: ١٩٩].

{قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به} أي: إنما بعثت بعبادة الله وحده لا شريك له، كما أرسل الأنبياء من قبلي، {إليه أدعو} أي: إلى سبيله أدعو

MOSTAFABAKRY.COM

الناس، {وإليه مآب} أي: مرجعي ومصيري.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(ومن الأحزاب) يعني مشركي مكة، ومن لم يؤمن من اليهود والنصارى والمجوس. وقيل: هم العرب المتحزبون على النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: ومن أعداء المسلمون من ينكر بعض ما في القرآن، لأن فيهم من كان يعترف ببعض الأنبياء، وفيهم من كان يعترف بأن الله خالق السماوات والأرض. (قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) قراءة الجماعة بالنصب عطفا على" أعبد". وقرأ أبو خالد «٣» بالرفع على الاستئناف أي أفرده بالعبادة وحده لا شريك له، وأتبرأ عن المشركين، ومن قال: المسيح ابن الله وعزير ابن الله، ومن اعتقد التشبيه كاليهود. (إليه أدعوا) أي إلى عبادته أدعو الناس. (وإليه مآب) أي أرجع في أموري كلها.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} أي: منَّا عليهم به وبمعرفته، {يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} فيؤمنون به ويصدقونه، ويفرحون بموافقة الكتب بعضها لبعض، وتصديق بعضها بعضا وهذه حال من آمن من أهل الكتابين، {وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ} أي: ومن طوائف الكفار المنحرفين عن الحق، من ينكر بعض هذا القرآن ولا يصدقه.

{فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها} إنما أنت يا محمد منذر تدعوا إلى الله، {قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ} أي: بإخلاص الدين لله وحده، {إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ} أي: مرجعي الذي أرجع به إليه فيجازيني بما قمت به من الدعوة إلى دينه والقيام بما أمرت به.

ذكر ابن الجوزي في زاد المسير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ ﴾ وبيان الذين يفرحون أقوالًا:

أحدها: أنهم مسلمو اليهود، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: هم عبد الله بن سلام وأصحابه.

والثاني: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ قاله قتادة.

والثالث: مؤمنو أهل الكتابين من اليهود والنصارى، ذكره الماوردي. والذي أُنزل إليه: القرآن، فرح به المسلمون وصدَّقوه، وفرح به مؤمنو أهل الكتاب، لأنه صدَّق ما عندهم. وقيل: إن عبد الله بن سلام ومن آمن معه من أهل الكتاب، ساءهم قِلَّة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذِكره في التوراة، فلما نزل ذِكره فرحوا، وكفر المشركون به، فنزلت هذه الآية.

فأما الأحزاب، فهم الكفار الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ بالمعاداة، وفيهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم اليهود والنصارى، قاله قتادة.

والثاني: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله ابن زيد.

والثالث: بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة بن عبد العزّى، قاله مقاتل.

والرابع: كفار قريش، ذكره الماوردي.

وفي بعضه الذي أنكروه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ذِكر الرحمن والبعثِ ومحمدٍ ﷺ، قاله مقاتل.

والثاني: أنهم عرفوا بعثة الرسول في كتبهم وأنكروا نبوَّته.

والثالث: أنهم عرفوا صِدقه، وأنكروا تصديقه، ذكرهما الماوردي.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAABOU.COM

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: وكذلك انزلنا هذا القرآن عليك يا رسول الله أحكامًا بلسان عربيٍّ، ودينًا بلسانٍ عربي، وقيل مُحكمًا بلسان عربي ولئن اتبعت آراء هؤلاء الكفار وما تهواه نفوسهم من الغيِّ والضلال والفكر بعد ما جاءك من العلم في هذا الكتاب العزيز ما لك من الله من وليٍّ يتولاك ولا واقٍ يقيك عذاب الله ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكما أنزلنا عليك الكتاب، يا محمد، فأنكرهُ بعض الأحزاب، كذلك أيضًا أنزلنا الحكم والدين حُكْمًا عربيًا (١) وجعل ذلك (عربيًا)، ووصفه به لأنه أنزل على محمدٍ صلى الله عليه وسلم وهو عربيٌّ، فنسب الدين إليه، إذ كان عليه أنزل، فكذَّب به الأحزابُ. ثم نهاه جل ثناؤه عن ترك ما أنزل إليه واتباع الأحزاب، وتهدَّده على ذلك إنْ فعله فقال: (ولئن اتبعت) يا محمد (أهواءهم)، أهوَاء هؤُلاء الأحزاب ورِضَاهم ومحبتَهم (٢) وانتقلت من دينك إلى دينهم، ما لك من يَقيك من عَذاب الله إنْ عذّبك على اتباعك أهواءَهم، وما لك من ناصر ينصرك فيستنقذك من الله إن هو عاقبك، (٣) يقول: فاحذر أن تتّبع أهَواءهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: {وكذلك أنزلناه حكما عربيا} أي: وكما أرسلنا قبلك المرسلين، وأنزلنا عليهم الكتب من السماء، كذلك أنزلنا عليك القرآن محكما معربا،

mostafalabw.com

شرفناك به وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب المبين الواضح الجلي الذي {لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد} [فصلت: ١١].

وقوله: {ولئن اتبعت أهواءهم} أي: آراءهم، {بعد ما جاءك من العلم} أي: من الله تعالى {ما لك من الله من ولي ولا واق} أي: من الله تعالى. وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا (١) سبل أهل الضلالة بعدما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والمحجة المحمدية، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أي وكما أنزلنا عليك القرآن فأنكره بعض الأحزاب كذلك أنزلناه حكما عربيا، وإنما وصفه بذلك لأنه أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو عربي، فكذب الأحزاب بهذا الحكم أيضا. وقيل نظم الآية: وكما أنزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم كذلك أنزلنا إليك القرآن حكما عربيا، أي بلسان العرب، ويريد بالحكم ما فيه من الأحكام. وقيل: أراد بالحكم العربي القرآن كله، لأنه يفصل بين الحق والباطل ويحكم." (ولئن اتبعت أهواءهم) " أي أهواء المشركين في عبادة ما دون الله، وفي التوجيه إلى غير الكعبة. (بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي) أي ناصر ينصرك. (ولا واق) يمنعك من عذابه، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد الأمة.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: ولقد أنزلنا هذا القرآن والكتاب حكما، عربيا أي: محكما متقنا، بأوضح الألسنة وأفصح اللغات، لئلا يقع فيه شك واشتباه، وليوجب أن يتبع

Nostrabooks.com

وحده، ولا يداهن فيه، ولا يتبع ما يضاده ويناقضه من أهواء الذين لا يعلمون.

ولهذا توعد رسوله -مع أنه معصوم- ليمتن عليه بعصمته ولتكون أمته أسوته في الأحكام فقال: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} البين الذي ينهاك عن اتباع أهوائهم، {مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ} يتولاك فيحصل لك الأمر المحبوب، {وَلا وَاقٍ} يقيك من الأمر المكروه.

أي: لست أول رسول أرسل إلى الناس حتى يستغربوا رسالتك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك يا رسول الله، وكانوا بشرًا كما أنك بشرٌ فقد كانت لهم أزواج، وكان لهم أيضًا ذرية، وما كان لرسول منهم أن يأتي بمعجزة من تلقاء نفسه، إنما يسأل الله ذلك فتأتي المعجزة من عند الله على الوجه الذي يشاؤه الله، وفي التوقيت الذي يريده الله، وبإذنه ﷻ.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: لكل مدة من الزمن كتاب مكتوب فيه ما سيحدث في هذه المدة الزمنية.

والثاني: أن هنا تقديم وتأخير، والمعنى لكل كتاب من الكتب التي أنزلها الله ﷻ أجل ينتهي عنده ويأتي كتاب آخر من عند الله ينسخ بعض ما في الكتاب المتقدم من الأحكام إلى أن نزل القرآن ولا ناسخ له بل هو المهيمن على الكتب كلها، والله أعلم.

MOSTAFAABBAS.COM

ثم هذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: (ولقد أرسلنا) ، يا محمد (رسلا من قبلك) إلى أمم قَدْ خَلَتْ من قبل أمتك، فجعلناهم بَشرًا مثلَك، لهم أزواج ينكحون، وذرية أنْسَلوهم، (١) ولم نجعلهم ملائكةً لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، فنجعلَ الرسولَ إلى قومك من الملائكة مثلهم، ولكن أرسلنا إليهم بشرًا مثلهم، كما أرسلنا إلى من قبلهم من سائر الأمم بشرًا مثلهم= (وما كان لرسول أن يأتيَ بآية إلا بإذن الله) يقول تعالى ذكره: وما يقدِر رسولٌ أرسله الله إلى خلقه أنْ يأتي أمَّتَه بآية وعلامة، (٢) من تسيير الجبال، ونقل بَلْدةٍ من مكان إلى مكان آخر، وإحياء الموتى ونحوها من الآيات= (إلا بإذن الله) ، يقول: إلا بأمر الله الجبالَ بالسير، (٣) والأرضَ بالانتقال، والميتَ بأن يحيَا= (لكل أجل كتاب) ، يقول: لكلِّ أجلِ أمرٍ قضاه الله، كتابٌ قد كتبَه فهو عنده. (٤)

وقد قيل: معناه: لكل كتابٍ أنزله الله من السماء أجَلٌ.

وأورد بإسنادٍ ضعيف عن الضحاك في قوله: (لكلّ أجل كتاب) ، يقول: لكل كتاب ينزل من السماء أجل، فيمحُو الله من ذلك ما يشاءُ ويُثْبت، وعنده أمُّ الكتاب. (٥)

قال أبو جعفر: وهذا على هذا القول نظيرُ قول الله: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) [سورة ق:١٩] ، وكان أبو بكر رحمه الله يقرؤه (٦) (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ) ، وذلك أن سَكْرة الموت تأتي بالحق والحق يأتي بها، فكذلك الأجل له كتاب وللكتاب أجَلٌ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

Mostafa-Abdo.com

يقول تعالى: وكما أرسلناك، يا محمد، رسولا بشريا (٢) كذلك [قد] (٣) بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق ويأتون الزوجات، ويولد لهم، وجعلنا لهم أزواجا وذرية، وقد قال [الله] (٤) تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي} [الكهف: ١١٠].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[(١)]: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ، وَآكُلُ اللَّحْمَ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**".

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: {وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله} أي: لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه، ليس ذلك إليه، بل إلى الله، عز وجل، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

{لكل أجل كتاب} أي: لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها، وكل شيء عنده بمقدار، {ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير} [الحج: ٧٠] (١١).

وكان الضحاك بن مزاحم[(٢)] يقول في قوله: {لكل أجل كتاب} أي: لكل كتاب أجل يعني (١٢) لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدار معين، فلهذا يمحو (١٣) ما يشاء منها ويثبت، يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) بنحوه.

(٢) وفي السند عند الطبري عن الضحاك ضعف، والله أعلم..

MOSTAFALABIY.COM

قوله تعالى: (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) عاد الكلام إلى ما اقترحوا من الآيات- ما تقدم ذكره في هذه السورة- فأنزل [الله «٣»] ذلك فيهم، وظاهر الكلام حظر ومعناه النفي، لأنه لا يحظر على أحد ما لا يقدر عليه. (لكل أجل كتاب) أي لكل أمر قضاه الله كتاب عند الله، قال الحسن. وقيل: فيه تقديم وتأخير، المعنى: لكل كتاب أجل، قال الفراء والضحاك، أي لكل أمر كتبه الله أجل مؤقت، ووقت معلوم، نظيره." لكل نبإ مستقر" «١» [الأنعام: ٦٧] ، بين أن المراد ليس على اقتراح الأمم في نزول العذاب، بل لكل أجل كتاب. وقيل: المعنى لكل مدة كتاب مكتوب، وأمر مقدر لا تقف عليه الملائكة.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} فلا يعيبك أعداؤك بأن يكون لك أزواج وذرية، كما كان لإخوانك المرسلين، فلأي شيء يقدحون فيك بذلك وهم يعلمون أن الرسل قبلك كذلك؛ إلا لأجل أغراضهم الفاسدة وأهوائهم؟ وإن طلبوا منك آية اقترحوها فليس لك من الأمر شيء.

{وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ} والله لا يأذن فيها إلا في وقتها الذي قدره وقضاه، {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، فليس استعجالهم بالآيات أو بالعذاب موجبا لأن يقدم الله ما كتب أنه يؤخر مع أنه تعالى فعال لما يريد.

قال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لكل أجل من آجال الخَلق كتاب عند الله، قاله الحسن.

والثاني: أنه من المقدّم والمؤخّر، والمعنى: لكل كتاب ينزل من السماء أجل. قاله الضحاك والفراء.

والثالث: لكل أجل قدَّره الله ﷻ، ولكل أمر قضاه، كتاب أُثبت فيه، ولا تكون آية ولا غيرها إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب، هذا معنى قول ابن جرير.

❁ ❁ ❁

مبحثٌ في المحو والإثبات

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الآية متعلقة بما قبلها فقوله تعالى: ﴿﴾، متعلق بقوله تعالى: ﴿﴾، وقوله: ﴿﴾ من المقدم والمؤخر، بمعنى لكل كتاب أنزله الله على رسوله (للشرائع والأحكام التي فيه أجل) إلى أن يأتي كتاب آخر من عند اله فينسخ الله من الكتاب الأول ما يشاء بالكتاب الثاني، أو يتركه بلا نسخ،فمثلًا التوراة لها زمنٌ معين فإذا جاء الإنجيل نُسخ منها بعض الأحكام، وأثبتت أحكام كما هي عليه.

ويأتي القرآن بعد الإنجيل فينسخ بعض أحكام الإنجيل ويثبت أحكامًا أخر.

أما القرآن فلا كتاب من عند اله بعده.

فعلى هذا فقوله تعالى: ﴿﴾ من الكتب التي أنزلها على الرسل عليهم صلوات الله وسلامه.

الوجه الثاني: أن قوله تعالى: ﴿﴾ متعلق باللوح المحفوظ، يُغيِّر الله في

Mostafa.ayz.com

الأقدار التي قدرها ما يشاء ويثبت ما يشاء، وقد ورد عن عددٍ من السلف أنهم كانوا يقولون في دعائهم: اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيًّا فامحه واكتبني سعيدًا.

الوجه الثالث: كالوجه الثاني، لكن هناك أشياء في اللوح المحفوظ لا تتغير، وهي الشقاوة والسعادة، والحياة والموت، وما سواها يتغير أو يترك كما يشاء الله ﷻ.

الوجه الرابع: أن الكتاب كتابان، أحدهما: اللوح المحفوظ لا يتغير ولا يتبدل فيه شيء والآخر كتاب، قيل: بأيدي الملائكة يتغير فيه أمور، وتثبت فيه أمور كما يريد الله فكان البعض يقولون: إن حاصل ذلك أن الله يقول لملائكته إذا عمل عبدي حسنة كذا وكذا فزيدوه في الرزق كذا وكذا، أو في الأجل كذا وكذا، أو غير ذلك، وإلا فلا تزيدوه، ونحو ذلك، والله أعلم بما تنتهي إليه الأمور، وقد أثبت ما تنتهي إليه الأمور في اللوح المحفوظ.

الوجه الخامس: أن قوله تعالى: ﴿﴾ متعلق بالناسخ والمنسوخ اللذين في القرآن، فيترك الله بعض الآيات بلا نسخ وينسخ آيات أخر.

الوجه السادس: يمحو الله ﷻ من سيئات العبد ما يشاء بمغفرته وعفوه، ويترك سيئات آخرين يؤاخذهم بها.

الوجه السابع: يمحو الله من يشاء من الخلق بإماتته ويترك ما يشاء حيًّا.

الوجه الثامن: يمحو الله ما يشاء من آياته ويترك آيات أخر، أعني الآيات التي في الآفاق، كالليل، والنهار، والشمس، والقمر، قال تعالى: ﴿﴾.

الوجه التاسع: أن ذلك متعلق بأحوال العباد فمنهم من يعلم بطاعة الله ﷻ زمانًا ثم يُمحى هذا ويعمل بالمعصية فيموت عليها.

MOSTAFALOBY.COM

ومنهم من يعمل بمعصية الله ﷻ زمانًا ثم يُمحى هذا ويعمل بطاعة الله ﷻ.

الوجه العاشر: أن هذا متعلق بالأشخاص أثناء نومهم فيقبض الله أرواح بعضهم أثناء نومهم ويترك آخرين يرد إليهم أرواحهم.

هذا وثمَّ أقوال أخر، والوجوه الأُول قوية، والله أعلم بالصواب من تاويل كتابه.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فالمراد به والله أعلم أصل الكتاب وجملته. والله أعلم.

وإن كان لأم الكتاب معان أُخر قدمت ذكرها في مقدمة سورة الفاتحة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم: يمحو الله ما يشاء من أمور عبادِه، فيغيّره، إلا الشقاء والسعادة، فإنهما لا يُغَيَّران.

وأورد بسندٍ ضعيف عن ابن عباس، في قوله: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) ، قال: يدبّر الله أمرَ العباد فيمحو ما يشاءُ، إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت.

وبسندٍ صحيح عن مجاهد في قوله: (يمحو الله ما يشاء ويثبت) ، قال: إلا الحياة والموت والسعادة والشقاوة فإنَّهما لا يتغيَّران.

وأورد الطبري من وجه آخر عن منصور قال: سألت مجاهدًا فقلت: أرأيت دعاءَ أحدنا يقول:"اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبته فيهم، وإن كان في الأشقياء فامحه واجعله في السعداء"، فقال: حَسنٌ. ثم أتيته بعد ذلك بحَوْلٍ أو

MOSTAFALADWY.COM

أكثر من ذلك، فسألته عن ذلك، فقال: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِين فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) [سورة الدخان:٣، ٤] قال: يُقْضى في ليلة القدر ما يكون في السَّنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدِّم ما يشاء ويؤخر ما يشاء. فأما كتاب الشقاء والسعادة فهو ثابتٌ لا يُغَيَّر.

قال الطبري:

وقال آخرون: معنى ذلك: أنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت من كتابٍ سوى أمّ الكتاب الذي لا يُغَيَّرُ منه شيء.

وأورد بسندٍ ضعيف عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)، قال: كتابان: كتابٌ يمحو منه ما يشاء ويثبت، وعنده أمّ الكتاب.

وبسندٍ صحيح عن عكرمة قال: الكتابُ كتابان، كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه يمحو كل ما يشاء، ويثبت كل ما أراد.

وأورد بسندٍ صحيح عن شقيق (وهو أبو وائل شقيق بن سلمة) أنه كان يقول: «اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء، فامحنَا واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاءُ وتثبت وعندَك أمّ الكتاب».

ومن وجه آخر صحيح عن أبي وائل أيضًا قال: كان مما يكثر أن يدعو بهؤلاء الكلمات:"اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب".

وأورد الطبري بسنده إلى أبي عثمان النَّهْديّ (والإسناد قابل للتحسين

Mostafadiw.com

ويتمم السقط الذي فيه ابن كثير)[١]، أن عمر بن الخطاب قال وهو يطوف بالبيت ويبكي: اللهم إن كنت كتبت علي شِقْوة أو ذنبًا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت. وعندك أم الكتاب، فاجعله سعادةً ومغفرةً.

ونبحوه بإسناد فيه مقال عن ابن مسعود.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنّ الله ينسخ ما يشاء من أحكام كِتَابه، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسَخُه.

وأورد بسندٍ ضعيف عن ابن عباس: (يمحو الله ما يشاء) ، قال: من القرآن. يقول: يبدل الله ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله= (وعنده أم الكتاب) ، يقول: وجملة ذلك عنده في أمّ الكتاب، الناسخ والمنسوخ، وما يبدل وما يثبت، كلُّ ذلك في كتاب.

وبسندٍ صحيح عن قتادة قوله: (يمحو الله ما يشاء ويثبت) ، هي مثل قوله: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) [سورة البقرة:١٠٦] ، وقوله: (وعنده أم الكتاب) : أي جُملة الكتاب وأصله.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: (يمحو الله ما يشاء) ، بما ينزل على الأنبياء، (ويثبت) ما يشاء مما ينزل على الأنبياء، قال: (وعنده أم الكتاب) ، لا يغيَّر ولا يبدَّل.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه يمحو من قد حان أجله، ويثبت من لم يجئ أجله إلى أجله.

---

(١) ففي السند سقط شيخ الطبري، وأوضحه ابن كثير إذ ساق الإسناد، وهو عمرو بن علي شيخ الطبري.

ARCHIVE.ALMOSTAFA.COM

وأورد بسندٍ صحيح عن الحسن (البصري) قال: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) ، يقول: يمحو من جاء أجله فذهب، والمثبت الذي هو حيٌّ يجري إلى أجله.

وأورد بسندٍ ضعيف عن مجاهد قول الله: (يمحو الله ما يشاء ويثبت) ، قالت قريش حين أنزل: (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ) [سورة الرعد:٣٨] : ما نراك، يا محمد تملك من شيء، ولقد فُرِغ من الأمر! فأنزلت هذه الآية تخويفًا ووعيدًا لهم: إنا إن شئنا أحدَثْنا له من أمرنا ما شئنا، ونُحْدِث في كل رمضان، فنمحو ونثبتُ ما نشاء من أرزاق الناس وَمصَائبهم، وما نعطيهم، وما نقسم لهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: ويغفر ما يشاء من ذنوب عباده، ويترك ما يشاء فلا يغفر.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية وأشبهُها بالصّواب، القولُ الذي ذكرناه عن الحسن ومجاهد، وذلك أن الله تعالى ذكره توعَّد المشركين الذين سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الآياتِ بالعقوبة، وتهدَّدهم بها، وقال لهم: (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ الله لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) ، يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلا مُثْبَتًا في كتاب، هم مؤخَّرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل. ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل، يجيء الله بما شاء ممن قد دَنا أجله وانقطع رزقه، أو حان هلاكه أو اتضاعه من رفعة أو هلاك مالٍ، فيقضي ذلك في خلقه، فذلك مَحْوُه، ويثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأكله، (١) فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه.

MOSTAFALADWA.COM

وأورد أحاديث فيها مقال في هذا الصدد.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فأورد الطبري أيضًا أقوالًا منها معناه: وعنده الحلال والحرام.

ومنها معناه: وعنده جملة الكتاب وأصله، وأورد هذا بسندٍ صحيح عن قتادة.

ومنها بسندٍ فيه مقالٌ عن ابن عباس أنه سأل كعبًا عن"أم الكتاب" قال: علم الله ما هو خالقٌ وما خَلْقُه عاملون، فقال لعلمه: كُنْ كتابًا، فكان كتابًا.

قال الطبري: وقال آخرون: هو الذكر.

قال الطبري:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قولُ من قال:"وعنده أصل الكتاب وجملته، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحُو ما يشاء ويثبت ما يشاء، ثم عقَّب ذلك بقوله: (وعنده أم الكتاب)، فكان بيِّنًا أن معناه. وعنده أصل المثبّت منه والمَمحوّ، وجملتُه في كتاب لديه.

وأورد الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ قراءتين في قوله تعالى: ﴿﴾ أحدهما: يُثبِّت، والأخرى يثبت مخففة فالأولى بالتشديد (تشديد الباء) بمعنى ويتركه ويقرِّه على حاله فلا يمحوه.

" يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب". وقال مالك بن دينار في المرأة التي دعا لها: اللهم إن كان في بطنها جارية فأبدلها غلاما فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب. وقد تقدم في الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" من سره أن يبسط له رزقه وينسأ له أثره «١» فليصل رحمه". ومثله عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه

MOSTAFABADAWY.COM

وسلم قال:" من أحب" فذكره بلفظه سواء، وفيه تأويلان: أحدهما- معنوي، وهو ما يبقى بعده من الثناء الجميل والذكر الحسن، والأجر المتكرر، فكأنه لم يمت. والآخر- يؤخر أجله المكتوب في اللوح المحفوظ، والذي في علم الله ثابت لا تبدل له، كما قال:" يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب". وقيل لابن عباس لما روى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" من أحب أن يمد الله في عمره وأجله ويبسط له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه" كيف يزاد في العمر والأجل؟! فقال: قال الله عز وجل:" هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده" «٢» [الأنعام: ٢] . فالأجل الأول أجل العبد من حين ولادته إلى حين موته، والأجل الثاني- يعني المسمى عنده- من حين وفاته إلى يوم يلقاه في البرزخ لا يعلمه إلا الله، فإذا اتقى العبد ربه ووصل رحمه زاده الله في أجل عمره الأول من أجل البرزخ، ما شاء، وإذا عصى وقطع رحمه نقصه الله من أجل عمره في الدنيا ما شاء، فيزيده في أجل البرزخ فإذا تحتم الأجل في علمه السابق امتنع الزيادة والنقصان، لقوله تعالى:" فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون" «١» [الأعراف: ٣٤] فتوافق الخبر والآية، وهذه زيادة في نفس العمر وذات الأجل على ظاهر اللفظ، في اختيار حبر الأمة[1].

وذكر القرطبي أقوالًا في المحو والإثبات منها:

وقال الحسن:" يمحوا الله ما يشاء" من جاء أجله،" ويثبت" من لم يأت أجله. وقال الحسن: يمحو الآباء، ويثبت الأبناء. وعنه أيضا. ينسي الحفظة من الذنوب ولا ينسى. وقال السدي:" يمحوا الله ما يشاء" يعني: القمر،"

(١) ولم أقف على سندٍ صحيح لهذا الأثر.

ويثبت" يعني: الشمس، بيانه قوله:" فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة" «١» [الإسراء: ١٢] وقال الربيع بن أنس: هذا في الأرواح حالة النوم، يقبضها عند النوم، ثم إذا أراد موته فجأة أمسكه، ومن أراد بقاءه أثبته ورده إلى صاحبه، بيانه قوله:" الله يتوفى الأنفس حين موتها" «٢» الآية [الزمر: ٤٢]. وقال علي بن أبي طالب يمحو الله ما يشاء من القرون، كقوله:" ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون" «٣» [يس: ٣١] ويثبت ما يشاء منها، كقوله:" ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين" «٤» [المؤمنون: ٣١] فيمحو قرنا، ويثبت قرنا. وقيل: هو الرجل يعمل الزمن الطويل بطاعة الله، ثم يعمل بمعصية الله فيموت على ضلاله، فهو الذي يمحو، والذي يثبت: الرجل يعمل بمعصية الله الزمان الطويل ثم يتوب، فيمحوه الله من ديوان السيئات، ويثبته في ديوان الحسنات.

وقال القرطبي أيضًا:

" وعنده أم الكتاب" أصل ما كتب من الآجال وغيرها. وقيل: أم الكتاب اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير. وقد قيل: إنه يجري فيه التبديل. وقيل: إنما يجري في الجرائد الأخر. وسيل ابن عباس عن أم الكتاب فقال: علم الله ما هو خالق، وما خلقه عاملون، فقال لعلمه: كن كتابا، ولا تبديل في علم الله، وعنه أنه الذكر، دليله قوله تعالى:" ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر" «١» [الأنبياء: ١٠٥] وهذا يرجع معناه إلى الأول، وهو معنى قول كعب. قال كعب الأحبار: أم الكتاب علم الله تعالى بما خلق وبما هو خالق[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) قلت (مصطفى) والإشكالية في هذه اليثار عدم التيقن من ثبوتها فالذي وقفت عليه من أسانيدها ضعيف، والله أعلم.

{يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ} من الأقدار {وَيُثْبِتُ} ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير لأن ذلك محال على الله، أن يقع في علمه نقص أو خلل ولهذا قال: {وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له وشعب.

فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابا ولمحوها أسبابا، لا تتعدى تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: «ويثبت» ساكنة الثاء خفيفة الباء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: «ويثبِّت» مشددة الباء مفتوحة الثاء. قال أبو علي: المعنى: ويثبِّته، فاستغنى بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني.

واختلف المفسرون في المراد بالذي يمحو ويثبت على ثمانية أقوال:

أحدها: أنه عامّ، في الرزق، والأجل، والسعادة. والشقاوة، وهذا مذهب عمر، وابن مسعود، وأبي وائل، والضحاك، وابن جريج.

MOSTAFABADR.COM

والثاني: أنه الناسخ والمنسوخ، فيمحو المنسوخ، ويثبت الناسخ، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، والقرظي، وابن زيد. وقال ابن قتيبة: «يمحو الله ما يشاء» أي: ينسخ من القرآن ما يشاء «ويثبت» أي: يدعه ثابتًا لا ينسخه، وهو المُحكَم.

والثالث: أنه يمحو ما يشاء، ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة، والحياة والموت، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، ودليل هذا القول، ما روى مسلم في «صحيحه» (١) من حديث حذيفة بن أَسِيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة، يقول الملَك الموكَّل: أذَكر أم أنثى؟ فيقضي الله تعالى، ويكتب الملَك، فيقول: أشقي، أم سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملَك، فيقول: عمله وأجله؟ فيقضي الله، ويكتب الملَك، ثم تطوى الصحيفة، فلا يزاد فيها ولا يُنقص منها**».

والرابع: يمحو ما يشاء ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة لا يغيَّران، قاله مجاهد.

والخامس: يمحو من جاء أجله، ويُثبت من لم يجئ أجله، قاله الحسن.

والسادس: يمحو من ذنوب عباده ما يشاء فيغفرها، ويثبت ما يشاء فلا يغفرها، روي عن سعيد بن جبير.

والسابع: يمحو ما يشاء بالتوبة، ويثبت مكانها حسنات، قاله عكرمة.

والثامن: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، قاله الضحاك، وأبو صالح. وقال ابن السائب: القول كلُّه يُكتَب، حتى إذا كان في يوم الخميس، طُرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا

(١) مسلم ٤/ ٢٠٣٧ ورواية المصنف هنا بالمعنى.

MOSTAFALADY.COM

عقاب، مثل قولك: أكلتُ، شربت، دخلت، خرجت، ونحوه، وهو صادق، ويُثبت ما فيه الثواب والعقاب.

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال الزجاج: أصل الكتاب. قال المفسرون: وهو اللوح المحفوظ الذي أُثبت فيه ما يكون ويحدث.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: وقد نرينك يا رسول الله ما نعد هؤلاء الكفار من العذاب، فيحل بهم العذاب وأنت حيٌّ وتقر عينك ويشفى صدرك بالانتقام منهم فنحن قادرون على ذلك، فإذا فعلنا بهم ذلك أو توفيناك قبل أن ترى ذلك فيهم فإن الذي عليك هو البلاغ، وقد أديته، أما حسابهم فعلى الله ﷻ، هو جامعهم ليوم القيامة يحاسب كلًّا على ما صنع.

والآية كقوله تعالى: ﴿﴾، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإما نرينك، يا محمد في حياتك بعضَ الذي نعدُ هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم= أو نتوفيَنَّكَ قبل أن نُريَك ذلك، فإنما عليك أن تنتهِيَ إلى طاعة ربك فيما أمرك به من تبليغهم رسالتَه، لا طلبَ صلاحِهم ولا فسادِهم، وعلينا محاسبتهم، فمجازاتهم بأعمالهم، إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله: {وإن ما نرينك} يا محمد {بعض الذي نعدهم}

MOSTAFABAKRY.COM

أي: نعد أعداءك من الخزي (١) والنكال في الدنيا، {أو نتوفينك} [أي] (٢) قبل ذلك، {فإنما عليك البلاغ} أي: إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد بلغت (٣) ما أمرت به، {وعلينا الحساب} أي: حسابهم وجزاؤهم، كما قال تعالى: {فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم} [الغاشية: ٢١ -٢٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم) " ما" زائدة، والتقدير: وإن نرينك بعض الذي نعدهم، أي من العذاب لقوله:" لهم عذاب في الحياة الدنيا" [الرعد: ٣٤] وقوله:" ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة" [الرعد: ٣١] أي إن أريناك بعض ما وعدناهم (أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ) فليس عليك إلا البلاغ، أي التبليغ، (وعلينا الحساب) أي الجزاء والعقوبة.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

{إِمَا نُرِيَنَّكَ} إياه في الدنيا فتقر بذلك عينك، {أو نتوفينك} قبل إصابتهم فليس ذلك شغلا لك {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ} والتبيين للخلق.

{وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} فنحاسب الخلق على ما قاموا به، مما عليهم، وضيعوه، ونثيبهم أو نعاقبهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم-: أولم يرهؤلاء المكذبون بالبعث الجاحدون

وحدانية الله ﷻ، الذين اتخذوا مع الله إلهًا آخر أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها، وفي نقصانها من أطرافها.

أقوال للعلماء:

أحدها: أن الناس يسلمون قومًا بعد قومٍ فيضيق الخناق على أهل الشرك بمكة، وذلك بالفتوحات التي يفتحها الله على رسوله ﷺ والبلاد التي تفتح ويدخل أهلها الإسلام، فيومًا بعد يومٍ يضيق الخناق على كفار مكة ويتحول صديقهم الكافر إلى وليٍّ حميم لرسول الله ﷺ بعد إسلامه.

الوجه الثاني: أن خرابًا يحلُّ ببعض البلاد يوم بعد يوم فالمعنى، أولم يروا متعقلين ما يحدث حولهم من تخريب بعض البلاد وتدميرها فيأخذونه من ذلك عبرة ويخشون أن يحلَّ بهم ما يحل بهؤلاء.

الوجه الثالث: أن المراد بإنقاص الأرض من أطرافها نقصان البركة والثمار.

الوجه الرابع: أن إنقاص الأرض من أطرافها موت العلماء والفقهاء.

وثمَّ وجوهٌ أُخر في هذا المعنى.

أما قوله تعالى: ﴿﴾ فمعناه: والله يقضي ما يشاء من أقضيته ويفعل بالعباد والخلق ما يشاء وما يريد، لا راد لقضائه ولا دافع لمراده وهو سريع الحساب، يحاسب هؤلاء الأقوام ويحص عليهم أقوالهم وأعمالهم ويجازيهم عليها.

فلا يستعجل هؤلاء الكفار العذاب فإنه آت وأعمالهم مُحصاة عليهم وكذا أقوالهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلف أهلُ التأويل في تأويل ذلك.

mostafalady.com

فقال بعضهم: معناه: أولم ير هؤلاء المشركون مِنْ أهل مكة الذين يسألون محمدًا الآيات، أنا نأتي الأرض فنفتَحُها له أرضًا بعد أرض حَوَالَيْ أرضهم؟ أفلا يخافون أن نفتح لَهُ أرضَهم كما فتحنا له غيرها؟

وأورد بإسنادٍ صحيح بمجموع طرقه عن ابن عباس في قوله: (أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) ، قال: أولم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض؟

وقال آخرون: بل معناه: أولم يروا أنا نأتي الأرض فنخرِّبها، أو لا يَخَافون أن نفعل بهم وبأرضهم مثل ذلك فنهلكهم ونخرِّب أرضهم؟

وأخرج بسندٍ صحيح عن ابن عباس في قوله: (أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) ، قال: أولم يروا إلى القرية تخربُ حتى يكون العُمْران في ناحية؟

وقال آخرون: بل معناه: ننقص من بَرَكتها وثَمرتها وأهلِها بالموت.

وقال آخرون: معناه: أنا نأتي الأرض ننقصها من أهلها، فنتطرَّفهم بأخذهم بالموت.

وقال آخرون: (ننقُصها من أطرافها) بذهاب فُقَهائها وخِيارها.

وأورد بسنده إلى ابن عباس قال: ذهابُ علمائها وفقهائِها وخيار أهلِها.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قولُ من قال: (أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) ، بظهور المسلمين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عليها وقَهْرِهم أهلها، أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظُهورَهم على أرْضِهم وقَهْرَهم إياهم؟ وذلك أن الله توعَّد الذين سألوا رسولَه الآيات من مشركي قومه بقوله: (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ

البَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) ، ثم وبَّخهم تعالى ذكره بسوء اعتبارهم ما يعاينون من فعل الله بضُرَبائهم من الكفار، وهم مع ذلك يسألون الآيات، فقال: (أولم يرَوْا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) بقهر أهلها، والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها، (١) وهم لا يعتبرون بما يَرَوْن من ذلك.

وأما قوله: (والله يحكُم لا مُعَقّب لحكمه) ، يقول: والله هو الذي يحكم فيَنْفُذُ حكمُه، ويَقْضي فيَمْضِي قضاؤه، وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حُكْم الله وقضاؤُه لم يستطيعوا رَدَّهَ. ويعني بقوله: (لا معقّب لحكمه) : لا راد لحكمه،

"والمعقب"، في كلام العرب، هو الذي يكرُّ على الشيء. (٢)

وقوله: (وهو سريع الحساب) ، يقول: والله سريع الحساب يُحْصي أعمال هؤلاء المشركين، لا يخفى عليه شيء، وهو من وراءِ جزائهم عليها.

واختار ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: ﴿﴾ أن المراد ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال متوعدا للمكذبين {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} قيل بإهلاك المكذبين واستئصال الظالمين، وقيل: بفتح بلدان المشركين، ونقصهم في أموالهم وأبدانهم، وقيل غير ذلك من الأقوال.

والظاهر -والله أعلم- أن المراد بذلك أن أراضي هؤلاء المكذبين جعل الله يفتحها ويجتاحها، ويحل القوارع بأطرافها، تنبيها لهم قبل أن يجتاحهم النقص، ويوقع الله بهم من القوارع ما لا يرده أحد، ولهذا قال: {وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ} ويدخل في هذا حكمه الشرعي والقدري والجزائي.

MOSTAFABDUY.COM

فهذه الأحكام التي يحكم الله فيها، توجد في غاية الحكمة والإتقان، لا خلل فيها ولا نقص، بل هي مبنية على القسط والعدل والحمد، فلا يتعقبها أحد ولا سبيل إلى القدح فيها، بخلاف حكم غيره فإنه قد يوافق الصواب وقد لا يوافقه، {وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} أي: فلا يستعجلوا بالعذاب فإن كل ما هو آت، فهو قريب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وقد كاد الكفار الذين كانوا قبل كفار قريش لرسلهم، ومكروا برسلهم لقتلهم أو لإخراجهم من بلادهم، أو لسجنهم وحبسهم قال تعالى: ﴿﴾.

مكر الكفار برسلهم وحاولهم قتلهم، ولكن هم يكيدون ويمكرون، واليه يكيد لهم كما قال تعالى: ﴿﴾، وبلا شك فمن كاد الله له قصمه الله، ومن أراد الله إذلاله فلا مُعزَّ له ولا ناصر، ولا عاصم له من أمر الله فالتدبير كله لله، والله يعلم ما تكسب الأنفس من أعمال من حسنات وسيئات، وسيعلم أهل الكفر عن قريبٍ لمن ستكون العاقبة الحسنة في الآخرة. ولمن ستكون العاقبة السيئة في الدنيا والآخرة إن العاقبة الحسنة في الآخرة لأهل الإيمان وهي الجنة.

والعاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي النار والعياذ بالله لأهل الكفر والشقاوة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قد مكر الذين من قَبْل هؤلاء المشركين من قُرَيشٍ من

mostafalabib.com

الأمم التي سلفت بأنبياء الله ورُسله (فلله المكر جميعًا) ، يقول: فلله أسبابُ المكر جميعًا، وبيده وإليه، لا يضرُّ مكرُ من مَكَر منهم أحدًا إلا من أراد ضرَّه به، يقول: فلم يضرَّ الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضرَّه ذلك، وإنما ضرُّوا به أنفسهم لأنهم أسخطوا ربَّهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم، ونجَّى رُسُلَه: يقول: فكذلك هؤلاء المشركون من قريش يمكرون بك، يا محمد، والله منجّيك من مكرهم، ومُلْحِقٌ ضُرَّ مكرهم بهم دونك.

وقوله: (يعلم ما تكسب كلّ نفس) ، يقول: يعلم ربك، يا محمد ما يعمل هؤلاء المشركون من قومك، وما يسعون فيه من المكر بك، ويعلم جميعَ أعمال الخلق كلهم، لا يخفى عليه شيء منها (٢) = (وسيعلَم الكفار لمن عقبى الدار) ، يقول: وسيعلمون إذا قَدموا على ربهم يوم القيامة لمن عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار، ويدخُل المؤمنون بالله ورسوله الجَنَّة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول: {وقد مكر الذين من قبلهم} برسلهم، وأرادوا إخراجهم من بلادهم، فمكر الله بهم، وجعل العاقبة للمتقين، كما قال تعالى: {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} [الأنفال: ٣٠] وقال تعالى: {ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا} الآية [النمل: ٥٠ -٥٢] .

وقوله: {يعلم ما تكسب كل نفس} أي: إنه تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر، وسيجزي كل عامل بعمله.

{وسيعلم الكافر} وقرئ: {الكفار} {لمن عقبى الدار} أي: لمن تكون

الدائرة والعاقبة، لهم أو لأتباع الرسل؟ كلا بل هي لأتباع الرسل في الدنيا والآخرة، ولله الحمد والمنة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: (وقد مكر الذين من قبلهم) أي من قبل مشركي مكة، مكروا بالرسل وكادوا لهم وكفروا بهم. (فلله المكر جميعا) أي هو مخلوق له مكر الماكرين، فلا يضر إلا بإذنه. وقيل: فلله خير المكر، أي يجازيهم به. (يعلم ما تكسب كل نفس) من خير وشر، فيجازي عليه. (وسيعلم الكفار) كذا قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو. الباقون "الكفار" على الجمع. وقيل: عني [به «١»] أبو جهل. (لمن عقبى الدار) أي عاقبة دار الدنيا ثوابا وعقابا، أو لمن الثواب والعقاب في الدار الآخرة، وهذا تهديد ووعيد.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: {وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} برسلهم وبالحق الذي جاءت به الرسل، فلم يغن عنهم مكرهم ولم يصنعوا شيئا فإنهم يحاربون الله ويبارزونه، {فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا} أي: لا يقدر أحد أن يمكر مكرا إلا بإذنه، وتحت قضائه وقدره،

فإذا كانوا يمكرون بدينه فإن مكرهم سيعود عليهم بالخيبة والندم، فإن الله {يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ} أي: همومها وإراداتها وأعمالها الظاهرة والباطنة.

والمكر لا بد أن يكون من كسبها فلا يخفى على الله مكرهم، فيمتنع أن يمكروا مكرا يضر الحق وأهله ويفيدهم شيئا، {وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ} أي: ألهم أو لرسله؟ ومن المعلوم أن العاقبة للمتقين لا للكفر وأهله.

❁ ❁ ❁

MOSTAFALABW.COM

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ...﴾ سبب نزول؟

ج: لم أقفلها على سبب نزول بسندٍ صحيح.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ويقول أهل الكفر من مشركي مكة وغيرهم من أهل الشرك، يقولون لك: يا رسول الله لست مرسلًا من عند الله، فقل لهؤلاء لمكذبين برسالتك كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم يشهد عليَّ ويشهد عليكم، يشهد لي باني رسول من عنده ﷻ، ويشهد عليكم بشرككم وبتكذيبكم.

وكذا يشهد لي بأني رسولٌ من عند الله، مَن عنده علم الكتاب، قيل: المراد بهم المؤمنون من أهل الكتاب شهدوا للرسول بالرسالة إذ كتبهم أخبرت بذلك، كقوله تعالى: ﴿﴾، وكما قال تعالى: ﴿﴾.

وكما قال تعالى: ﴿﴾ إلى غير ذلك.

فالقول الأول في تفسير: ﴿﴾ أي: والذين آمنوا من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري وعدي بن حاتم الطائي وغيرهم.

والقول الثاني: أن الذي عنده علم الكتاب هو الله ﷻ.

القول الثالث: أن الذي عنده علمٌ من الكتاب جبريل عليه السلام.

القول الرابع: أن الذي عنده علمٌ من الكتاب عليٌّ رضي الله عنه.

MOSTAFALABIB.COM

وأظهر الأقوال أن المراد: علماء أهل الكتاب الذين آمنوا، ولا يمنع أن يدخل معهم غيرهم.

أما القول بأن الذي عنده علم الكتاب هو الله، فلا شك أن الله يعلم، وعنده علم الكتاب، ولكن المراد بالآية بشرٌ، ﴿﴾ ثم العطف بقوله: ﴿﴾ فهذا يدل - في الغالب على التغاير، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره ويقول الذين كفروا بالله من قومك يا محمد لست مرسلا! تكذيبا منهم لك، وجحودًا لنبوّتك، (١) فقل لهم إذا قالوا ذلك: (كفى بالله) ، يقول: قل حَسْبي الله (٢) (شهيدًا) ، يعني شاهدًا (٣) = (بيني وبينكم) ، عليّ وعليكم، بصدقي وكذبكم = (ومن عنده علمُ الكتاب)

فـ"مَنْ" إذا قرئ كذلك في موضع خفضٍ عطفًا به على اسم الله، وكذلك قرأته قرَأَة الأمصار (١) بمعنى: والذين عندهم علم الكتاب أي الكتب التي نزلت قبلَ القرآن كالتوراة والإنجيل. وعلى هذه القراءة فسَّر ذلك المفسِّرون.

واورد الطبري بعض الأقوال في تعيين الذي عنده علم الكتاب.

فقال بعضهم: هو عبد الله بن سلام.

وقال آخرون: هو رجل من الإنس.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلا) ، قال: قول مشركي قريش: (قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) ، أناس من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحقّ ويقرُّون به، ويعلمون أن محمدًا رسول الله، كما يُحدَّث أن منهم عبد الله بن سَلام.

وفي رواية عن قتادة: كان منهم عبدُ الله بن سَلام، وسَلْمَان الفارسي،

Mostafa.com

وتميمٌ الدَّاريّ.

وأورد الطبري أقوالًا بنيت على قراءة (**مِن عنده علم الكتاب**) بكسر الميم في مِن، والمعنى ومن عند الله يتأتى العلم بالكتاب، وأورد حديثًا بذلك عن رسول الله ﷺ وضعَّفه الطبري بقوله ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهري.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإذْ كان ذلك كذلك وكانت قرأة الأمصار من أهل الحجاز والشأم والعراق على القراءة الأخرى، وهي: (ومن عنده علم الكتاب) ، كان التأويل الذي على المعنى الذي عليه قرأة الأمصار أولى بالصواب ممّا خالفه، (١) إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحقّ بالصواب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول: ويكذبك هؤلاء الكفار ويقولون: {لست مرسلا} أي: ما أرسلك الله، {قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم} أي: حسبي الله، وهو الشاهد علي وعليكم، شاهد علي فيما بلغت عنه من الرسالة، وشاهد عليكم أيها المكذبون فيما تفترونه من البهتان.

وقال في (من عنده علم الكتاب):

والصحيح في هذا: أن {ومن عنده} اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في كتبهم المتقدمة، من بشارات الأنبياء به، كما قال تعالى: {ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل} الآية

MOSTAFALABIB.COM

[الأعراف: ١٥٦، ١٥٧] وقال تعالى: {أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل} الآية: [الشعراء: ١٩٧] . وأمثال ذلك مما فيه الإخبار عن علماء بني إسرائيل: أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة. وقد ورد في حديث الأحبار، عن عبد الله بن سلام بأنه أسلم بمكة قبل الهجرة.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلا} أي: يكذبونك ويكذبون ما أرسلت به، {قُلْ} لهم -إن طلبوا على ذلك شهيدا: {كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} وشهادته بقوله وفعله وإقراره، أما قوله فبما أوحاه الله إلى أصدق خلقه مما يثبت به رسالته.

وأما فعله فلأن الله تعالى أيد رسوله ونصره نصرا خارجا عن قدرته وقدرة أصحابه وأتباعه وهذا شهادة منه له بالفعل والتأييد.

وأما إقراره، فإنه أخبر الرسول عنه أنه رسوله، وأنه أمر الناس باتباعه، فمن اتبعه فله رضوان الله وكرامته، ومن لم يتبعه فله النار والسخط وحل له ماله ودمه والله يقره على ذلك، فلو تقول عليه بعض الأقاويل لعاجله بالعقوبة.

{وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} وهذا شامل لكل علماء أهل الكتابين، فإنهم يشهدون للرسول من آمن واتبع الحق، صرح بتلك الشهادة التي عليه، ومن كتم ذلك فإخبار الله عنه أن عنده شهادة أبلغ من خبره، ولو لم يكن عنده شهادة لرد استشهاده بالبرهان، فسكوته يدل على أن عنده شهادة مكتومة.

وإنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب لأنهم أهل هذا الشأن، وكل أمر إنما يستشهد فيه أهله ومن هم أعلم به من غيرهم، بخلاف من هو أجنبي عنه، كالأميين من مشركي العرب وغيرهم، فلا فائدة في استشهادهم لعدم خبرتهم

ومعرفتهم والله أعلم.

وقال ابن الجوزي (زاد المسير):

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيه سبعة أقوال:

أحدها: أنهم علماء اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنه عبد الله بن سلام، قاله الحسن، ومجاهد، وعِكرمة، وابن زيد، وابن السائب، ومُقاتل.

والثالث: أنهم قوم من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق، منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداريّ، قاله قتادة.

والرابع: أنه جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جُبير.

والخامس: أنه علي بن أبي طالب، قاله ابن الحنفية.

والسادس: أنه بنيامين، قاله شمر.

والسابع: أنه الله تعالى، روي عن الحسن، ومجاهد، واختاره الزجاج

تم بحمد الله وتوفيقه تفسير سورة الرعد.

❁ ❁ ❁

MOSTAFALADAWY.COM